دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

- ١٢ -

خمسة شعراء جاهليون

مع تمهيد مفصل في خصائص الشعر الجاهلي وفنونه

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٠ هـ = ١٩٥١

منشورات مكتبة منيمنه - بيروت - المعرض

الطبعة الاولى ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م
الطبعة الثانيـة
٢/٢٠٠٠/٩/١٥

الطبعة الثانية
ذو الحجة ١٣٧٠
ايـلول ١٩٥١

الكلمة الثانية

نطاق هذه الدراسة

كان المقصودَ – في اول الامر – ان تكون هذه الدراسات كلها في متناول طلاب البكالوريا اللبنانية . ولكن منهاج البكالوريا اللبنانية وضع من اول امره مشوهاً ابتر ناقصاً في ناحية ومزدحماً في ناحية ثانية . وهو لا يزال كذلك على الرغم من انه قد اصلح مرتين وهو اليوم في دور الاصلاح للمرة الثالثة .

من اجل هذا وضعت هـــذه الدراسات مستقلة عن « ارادة » واضع منهاج البكالوريا الرسمي فجاءت الدراسات شاملة منسقة ، وجاءت مواد المنهاج الرسمي في خلالها .

ان المنهاج القديم الذي سيظل مطبقا في الامتحانات الرسمية حتى سنة ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، قوامه في الادب الجاهلي ، ما يلي :

امرؤ القيس – المعلقة

طرفة – المعلقة

النابغة – مختارات

عنترة – المعلقة

زهير بن ابي سُلمى – المعلقة .

اما المنهاج الذي سيبدأ تطبيقه في الامتحانات الرسمية ابتداء من دورة حزيران – تموز سنة ١٩٥٥ فقوامه في الادب الجاهلي ايضاً :

في السنة الخامسة

نظرة تاريخية في تسلل عصور الادب – الجاهلية – سيره عنترة .

الشعر : الرثاء : المهلهل – (الخنساء) .

الفخر : عنترة .

الشعر الحكمي والتعليمي : تحديده – زهير – لبيد – عدي بن زيد .

في السنة السادسة (السنة التي يتقدم فيها الطالب لامتحان البكالوريا).

الشعر الملحمي : تحديده — نشأته — مظاهره في المعلقات (عمرو بن كلثوم — الحارث بن حلزة — عنترة).
الشعر الغنائي : اللهو والخمريات : الاعشى . الوصف : امرؤ القيس .
الشعر السياسي : النابغة .
خواطر في الحياة والموت : طرفة .
شخصية ادبية : النابغة .

فالمنهاج كما ترى واسع ، ومع ذلك فهو لا يمثل تطور الادب العربي على الرغم من أن التلميذ مطالب بنظرة تاريخية في عصور الادب .

* *

فنطاق هذه الدراسة اذن اوسع مما يتطلبه منهاج البكالوريا الرسمي ، ولكنه نطاق ضروري لتذوق الشعر العربي وللاحاطة باوجه فنونه في الجاهلية ، مع التمثيل على كل ذلك من شعر الشعراء المكثرين والمقلين من اشتهر في تاريخ الادب او لم يشتهر .

ان الادب صورة الحياة فيجب ان تكون هذه الصورة في الكتب واضحة صحيحة قدر الامكان .

١٨ ذي القعدة ١٣٧٠
٢١ آب ١٩٥١

ع . ف

الكلمة الاولى

صحة الشعر الجاهلي

تطرق الشك الى صحة الشعر الجاهلي منذ ايام ائمة الشعر الاولين ، ومن هؤلاء تناول المستشرقون هذا الشك فافاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتابنا المحدثون . واذا كان الشك قـــد تطرق الى جميع ما يستند الى الاخبار المروية — وخصوصاً ما كان قديماً — والى ما كان مدوناً في بعض الاحيان ،فليس من المستغرب ان يتطرق الى الشعر الجاهلي ايضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدونوا هذا الشعر بل اكتفوا بان يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي ازمنة متطاولة وفي احوال مؤاتية او غير مؤاتية فقد :

(١) نُسي بعضه فضاع .

(٢) نَسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمداً او سهواً ،الى غير قائله .

(٣) رغب بعض الافراد بالدفاع عن انسابهم او باختـــلاق احساب لهم ولاسلافهم فعمدوا الى نظم ابيات او مقطّعات او قصائد ، او انهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين مثل ذلك ثم نسبوه الى شعراء متقدمين .

(٤) كذلك اراد بعض اللغويين ان يستروا خطأ وقعوا فيه فاختلقوا له شاهداً و « نحلوه » شاعراً قديماً او دسوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقـــد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نَحْل الشعر » .

وعلى هذا نشك نحن ايضاً في صحة بعض الشعر الجاهلي ،ولكن لا نشك فيه كله ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لان « الناحل » يستطيع ان يقلد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع ان يخلق شاعراً ولا ان يتلبس بشخصية شاعر . واذا استطاع ان يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل

يستطيع ان يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء امثال امرىءالقيس وطرفة وعنترة والاعشى معاً؟ اضف الى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين المختلفة ، فنرى عبيد بن الابرص يذكر معاصره امرأ القيس ثم نجد امرأ القيس يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر — سواء أكان فرداً ام كانوا نفراً — ان يلموا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك الاشارات المتأخرة في القرآن الكريم الى الشعر الجاهلي ثم الاشارات في دواوين الشعراء الامويين والعباسيين الى الشعراء الجاهليين باسمائهم وخصائصهم ، كقول الفرزدق (ت ١١٠هـ،٧٢٨م) :

وهب القصائد لي النوابغُ اذ مضَوْا وابو يزيدَ وذو القروح وجَرْوَل
والفحل علقمةُ الذي كانت له حُلَلُ الملوك كلامُــه لا يُنْحَل
واخو بني قيسٍ وهن قتلنــه ومُهَلْهِــل الشعراء ذاك الاول
والاعشيان كلاهمــا ومُرَقِّشٌ واخو قُضاعةَ قولُه يُتَمَثَّل
واخو بني أسدٍ عَبِيدٌ اذ مضى وابو دؤادٍ قوله يُتَنَخَّل
وابنا ابي سُلمى زهــيرٍ وابنه وابن الفُريعة حين جَدَّ المقول

الى آخر ما عدد . حينئذ انتصب له جرير (ت ١١٠ هـ) ونقض عليه معانيه وغيره بترديد اسماء الشعراء الاقدمين :

حسب الفرزدق ان تُسَب مجاشعٌ ويَعُدّ شعر مُرقش ومهلهل

يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع ان يدفع السُباب عن قبيلة مجاشع فينحرف الى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

اذا كانت ثمت ابيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين واذا كانت هنالك قصائد قد نسبت سهواً او عمداً الى غير اصحابها او غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله.

ولا تحسبن ان هذا خاص بالادب العربي وحده بل هو عام في الآداب كلها، وحسبك ان تعرف ان الياذة هوميروس عرضة لاكبر من هذا الشك ، فاطلب ذلك في مظانه .

١٩٤٤/٣/١٢

الجاهلية والشعر الجاهلي

الجـاهلية

« الجاهلية » اسم اطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام وامتد نحو مائة وخمسين عاماً (٤٧٥–٦٢٢ م) ، وهي الحقبه التي نعرف بعض تاريخها بشيء من التفصيل او الدقة. والجاهلية هنا مشتقة من «الجهل» الذي هو ضد الحلم لا الذي هو ضد العلم ، ذلك لان العرب حازوا في تلك الحقبة علوماً فطرية كثيرة كالطب وعلم النجوم وعلم الرياح واقتفاء الاثر والكهانة والعرافة ، اضف الى ذلك كله ان آدابهم من شعر ونثر كانت تتكشف عن مقدرة لغوية عظيمة وعن رقي عقلي كبير وعن حِكَم ونظرات في الحياة والموت والاخلاق والاجتماع مما لم ينحط عن علوم الذين جاوروهم في عصرهم ذلك .

على ان حياة العرب قبل الاسلام كانت بعيدة في بعض نواحيها عن الحِلم: كان اقوام منهم يعبدون الاصنام التي حملت الى جزيرتهم من بعض البلدان المجاورة ، وكانوا يستقسمون بالازلام ويلعبون القمار ويشربون الخمر ، ويئد الفقراء منهم اولادهم (بناتٍ وصبياناً). وربما فعل الاغنياء مثل ذلك . وكان لهم في الزواج عادات مستقبحة : ربما تزوج احدهم بضع مائة امرأة . وكانوا يطلقون نساءهم او يراجعونهن بايسر سبيل . وكان الوالد يزوج ابنته ممن اراد هو ويأخذ مهرها فينفقه في حاجاته هو لا في سبيل زواجها هي . وكان عندهم الظِهار (وذلك ان يغضب الرجل من امرأته فيقول لها : « انت علي كظهر امى » ، ثم لا يقربها بعد ذلك مع بقائها في عصمته). وكان عندهم زواج المقت (وذلك ان الرجل اذا مات وخلف نسوة جاز لابنائه ان يتزوجوا بهن على شرط الا يتزوج احدهم بامه هو). وكذلك كان عندهم التبني (وهو ان يتخذ احـــدهم أشخاصاً من غير نسله اولاداً له يلفهم باهله ويورثهم الخ ..)

ومن سيئات العرب قبل الاسلام « الحمية الجاهلية » التي قامت عـلى العصبية وحملت الافراد على ان يأخذوا بثأرهم من غرمائهم بايديهم فوقعت العداوة بـين

القبائل واتصلت الحروب في شبه الجزيرة سنين طِوالا . بمثل هذه العادات سمى القرآنُ الكريمُ العربَ قبل الاسلام « اهل الجاهلية » .

الا انه من الانصاف ان نذكر الى جانب هذه السيئات حسنات اسلافنا . كان اولى تلك الحسنات « البِر » وذلك ان العرب كانوا اهل فطرة ولم يكن لهم دين مُنزَل فكانوا يخافون الله ويفعلون الخير الى ذوي القربى والى البعداء والغرباء ويطيعون ذوي قرباهم وذوي الامر فيهم اطاعة يحمل عليها خير القبيلة في رأيهم .

وكان لهم صفات شخصية وعادات اجتماعية حميدة كالشجاعة والنجدة والدفاع عن العِرض وعن القبيلة وكالكرم والضيافة والصدق والوفاء بالعهود وحب الخير مما يرافق الحياة الفطرية في الاغلب، الا انه كان في العرب اشد بروزاً واثبت قواعد.

وكل ما مر بك من السيئات والحسنات قد ظهر في الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي هو مجموع ما وصل الينا من شعر العرب الذي قيل قبل الدعوة الاسلامية (٦١٠م) ومجموع ما قاله الشعراء الذين لم يدخلوا في الاسلام الى وفاة الرسول (١١هـ، ٦٣٢م) كبعض شعر الاعشى مثلاً. اما ما نظم بعد ذلك الى سقوط الدولة الاموية (١٣٢هـ، ٧٥٠م) فهو اسلامي (يعني نظم في الاسلام) سواء ا كان اصحابه مسلمين كحسان بن ثابت وعمر ابن ابي ربيعة ، او غير مسلمين كالربيع بن ابي الحُقيق اليهودي او الاخطل النصراني .

١ . نشأته — الشعر العربي قديم النشأة ، واذا كان لم يصل الينا شعرٌ اقدمُ من شعر عبيد بن الابرص والمهلهل بن ربيعة وامرىء القيس بن حُجر وعمرو بن قميئة ، فما ذلك الا لان كل شعر سابق لزمان من عددنا قد ضاع من افواه الرواة ، كشعر عروة بن حِزام أو شعر غيره من الذين لم تصل الينا اسماؤهم ايضاً . واذا نحن تأملنا شعر امرىء القيس مثلا الفيناه شعراً قد بلغ من التطور ، في التفكير وفي الالفاظ والتراكيب وفي المعاني والآراء وفي الاوزان والقوافي ، مبلغاً يدل بلا ريب على ان هذا الشعر لم يبلغ الى ما بلغ اليه الا بعد ان مر في ادوار كثار طِوال لا نبالغ

اذا قلنا انها الفا سنة على الاقل : ان شعر امرىء القيس ليس بدء الشعر العربي ، ولكنه – من حيثُ التركيبُ اللغوي والنحوي – قمة تطوره .

ويبدو ان العرب اتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن خيالهم ووجدانهم قبل ان يجعلوا النثر « اداة فنية » لتبيان آرائهم ووصف اوجه حضارتهم .

٢ . اسواقه ومواسمه – واتسع نطاق الشعر فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب ، بل شمِل ذكرَ المفاخر ووصف المعارك وتعداد بعض الحوادث حتى سُمّيَ بحق « ديوان العرب» اي سجل تاريخهم. من اجل ذلك اقْتضى ان يُنشد في المجتمعات وفي الحفل الغفير فأخذ الشعراء يؤمون الاسواق المحلية الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه او يدل على براعة نفسه ، مع العلم بان هذه الاسواق كانت في الاصل للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية او ادبية ، لاجتماع الناس فيها. وربما طلب احدهم في احد هذه المواسم غريماً او عرض فيها سيفاً او فرساً كريماً للبيع ، او امّها ليبحث عن امرأة يخطبها ، او ليُشهد على عتق عبد يملكه .

اما الاسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حي له سوق اسبوعي او شهري قاصر على اهل الحي ومن جاورهم في الاغلب . اما الاسواق الكبرى فكانت اقل عدداً واطول امداً ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادها اطول ، هو في الاغلب عام واحد . واما اشهر هذه لاسواق – او المواسم – فثلاث : ذو المجاز قرب يَنبُع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو المجنّة (بفتح الميم او كسرها) قرب مكة ، ثم عُكاظ وهي سوق في صحراء بين نَخلة والطائف شرقَ مكة ، وكانت تبدأ مع هلال ذي القَعْدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاكَظون اي يتفاخرون ويتناشدون .

٣ . المعلقات – ومع الايام زاد في الحياة الادبية وجه جديد ، ذاك ان الشعراء كانوا يتبارَون في سوق عكاظ امام احـــد فحول الشعر – وقد ذكروا من هؤلاء النابغة – فمن حكم له انداده اختيرت قصيدته و « عُلقَت » : قيل اعتبروها علْقاً اي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدران الكعبة ، وقيل

بل علقوها بالذهن اي حفظوها عن ظهر قلب .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقات فمن مقلل ومن مكثر ، الا ان جمهور الرواة يجعلها ثمانيَ ، هي ، حسب ما اختاره ابو زيد القرشي ، لامرؤ القيس (الكِندي) وزهير بن ابي سُلمى (المُزَني) والنابغة (الذُبياني) والاعشى (القيسي) ولبيد بن ربيعة (العامري) وعمرو بن كلثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها معلقة الحارث بن حِلِّزة (البكري) وعبيد بن الابرص (الاسدي) .

ويُلاحظ ان هذه المعلقات موزعة بين القبائل بشيء من الانصاف . ويبدو لنا ان اختيار المعلقة في سوق عكاظ كان تابعاً لنفوذ القبيلة السياسي — في الزمن الذي اختيرت فيه — اكثر من تعلقه بمقدرة الشاعر الفنية .

٤ ـ مقام الشاعر الجاهلي — : قال ابن رشيق[١] : « كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها ، وصُنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر [٢] كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لانه (اي الشاعر) حماية لاعراضهم وذَبٌّ عن احسابهم واشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنّأون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم او فرس تُنتَج ... »

خصائص الشعر الجاهلي :

كانت البادية بيئةَ الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآةً للحياة البدوية ، يدور حول الجمل والطلل . ومع انه قد نبغ في المدن شعراءَ ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من اهل الوَبَر (سكان الخيام = البدو) ، ولم يعترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قَروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر ان نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها الا قليلا من الوان الحضر عرضت في شعر شعراءَ ذهبوا الى بلاطات فارس والعراق والشام كالاعشى والنابغة مثلا . فمن تلك الخصائص :

---

(١) — العمدة ١ : ٤٩

(٢) المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

اولا — الخصائص المعنوية :

(أ) الصدق = الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه، والا يتكلف في ايراده ، بصرف النظر عما اذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت او لم تقع او كان مبالغاً فيها . ان الابيات التي تصف « دارة جلجل » في معلقة امرىء القيس «صادقة » تعبر عن نفس امرىء القيس وعما يتمناه امرؤ القيس في لهوه ، مع ان الحادثة نفسها قد تكون مختلقة او مبالغاً فيها . وهذا التعليل يصدق على الفخر الجاهلي والوصف والهجاء والحكمة . فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتي ضاق عنا ، ومـاء البحر نملأه سفينا

صحيحاً (ونحن نعلم انه غيرصحيح) .ولكن المهم ان عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوجدانية — والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الاولى ، يصف نفس قائله وشعوره. حتى ان الشاعر القديم كان اذا عرض «لبحث موضوعي واقعي»، كوصف الصيد والحرب او كالحكمة والرثاء ، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً . قال زهير :

ألا أبلغ الاحلاف « عني » رسالة وذبيان:هل اقسمتم كل مقسم ؟

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم .

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم !

ولذلك كان الشعر الجاهلي شعر انشاد (غنائيا) يلقيه الشاعر على لحن الربابة. ولا نزال نحن الى اليوم نقول « أنشد الشعر » اي القاه في حفل من الناس .

(ج) البساطة — ان الحياة الفطرية والبدوية والقدمَ في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة، كذلك كانت البيئه الجاهلية ؛و كذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد والمعاصاة في ما شعر به . واذا كنا نرى عند الشاعر الجاهلي شيئاً من المبالغة فلأن حياة الفروسية وضرورة اعتمادَ الفرد على نفسه تبعثان الزهو في الفرد ، ولم يشذ الجاهلي عن هذه القاعدة . قال عنترة :

اذ يتقون بيَ الاسِنَّةَ لم اخِمْ عنها ، ولكني تضايقَ مُقدَمي

فجعل جميع قومه الذين يحاربون في المعركة يحتمون به ويتدارَوْن بظهره .

على ان الطبع والسجية والبساطة والصدق ايضاً تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطرُ من دمي .
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسِّمِ !

(د) القول الجامع — كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه «شعر وجداني»، من اجل ذلك كان معرِضاً للآراء المفردة اكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون الحياة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً الى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك. فاذا راجعت ابيات زهير التي استشهدنا بها على « النزعة الوجدانية » تبين لك انها تضم سبع معانٍ او سبع جمل تامة المعاني . وحسبك من ذلك انهم أعجِبوا بقول امرىء القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسِقْط اللِوى بين الدَخول فحَومل

وقالوا : انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد !

وهكذا ترى ان الشاعر القديم لم يكن يحمل معنىً من بيت الى البيت الذي يليه الا في النادر . اما استمرار التركيب الواحد من بيت الى بيت فقد كان من عيوب الشعر . وهكذا كان بالامكان ان تتبدل بعض مراكز الابيات في القصيدة

من غير ان يتبدل المعنى الاساسي فيها كما ترى في حكم زهير مثلا .

(هـ) الاطالة والاستطراد — وكان يُحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون « طويل النفَس » اي ان يطيل القصائد . فاذا ذكرنا انه كان ميالا الى ذكر الآراء المفردة والقول الجامع ، لم نستغرب ان يخرج احيانـــاً عن الموضوع الاساسي الى موضوعات تتعلق به من قرب اومن بعد ، وهذا يُسمى الاستطراد. وربمااستطرد الشاعر الى موضوع ثم عاد الى ما كان في الكلام عليه ، وربما استطرد فلم يعد .

وقد أثِر عن الجاهلية مقطعات قيل إن اكثرها كان في الاصل قصائد طوالاً ثم نُسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل الى اطالة القصائد .

(و) الخيال — واذا كان اتساع افق الصحراء قد ادى الى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الخيال كان فطرياً بسيطاً كبيئته ، ولعلك لا تستغرب اذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحضَر كالاعشى وامرىء القيس والنابغة كانوا في خيالهم اوسع واعمق وادق كما ترى في معلقة امرىء القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابيه والاستعارات اكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

وكذلك ذكر بعض المتأدبين ان خيال الجاهليين كان خشِناً وان بعض معانيهم كانت نابية كبعض غزل امرىء القيس وكوصف الشنفرى لنفسه وكذكر القتال والثأر وبعض المديح والهجاء . ولكن يجب ان نذكر ان هذه الخشونة كانت صورة لبيئتهم ، وان كنا نحن اليوم نراها خشنة بالاضافة الى لين الحضارة الذي ألفناه . ان هذه الخشونة موجودة ولكن لها عذراً من بيئة الشاعر وشظف عيشه احياناً .

ثانياً — الخصائص اللفظية :

(أ) غرابة الالفاظ وجزالتها — اذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في اكثره على « كلمات غريبة » ، اي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب ان نشير الى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » اي

مأنوسة مألوفة ، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الإبل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده . ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالة عليها وعلى اوجهها وادواتها وآلاتها — على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رِئال (النعام) وقد تكون وَحْشية او حوشية مستكرَهة في اللفظ نحو بُعاق (مطر) .

وكان الشاعر الجاهلي حريصاً على ان يستعمل الكلمة « الجَزْلة » اي التي تقع في موقعها وتدل على المعنى المقصود بها من غير استعانة بالفاظ اخرَ نحو « قِلتُ » (بكسر القاف) ومعناها « نمت بعد الظهر » . فكلمة قِلت في هذا الموضع جزلة ، اما كلمة نمت في هذا الموضع فليست جزلة لانها لم تؤد المعنى الذي قصدناه الا بعد ان زدنا عليها كلمتين أخريين .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء — والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، اي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله او تأخير لفظة الى غير مكانها الذي تقتضيه اساليب العرب ، او زيادة حشو لا فائدة فيه او حذف لغير سبب نحوي .

وكذلك تراكيبه بليغة ، اي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة . إما حقيقةً واما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة او لحن عامي . وقد تجد في الشعر الجاهلي بضعة الفاظ من الجناس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وانما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرها لم يفطن اليها .

(ج) العناية والتنقيح — وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه ، فانه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه الى الناس كما يخطر له ويدور في خياله .

الا ان هنالك نفراً كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الادب « عبيدَ الشعر » لانهم يتكلفون إصلاحه (بعد نظمه) ويَشغَلون بــه

حواسهم وخواطرهم . وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والحطيئة وطفيلاً الغنوي ، واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » اي التي كان يقضي حولاً (عاماً) كاملا في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها علي النقدة .

اغراض الشعر وفنونه :

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عرضاً في قصيدته ، وهي عادة « امور ممهدة » للفن (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

١ ـ وصف الاطلال ـ يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد اهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه ، فيقف على طلل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ ـ وصف الراحلة ـ وكذلك يصف الشاعر الراحلة او المطية (الناقة او الفرس) التي يركبها للوصول الى الحبيبة او الى الممدوح ...

٤ ـ وصف الصيد ـ وتصيد الجاهلي لسببين : اما طلبا للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب ، او طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس ، او لانه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون الى الصيد كالنابغة .

٤ ـ وصف الطبيعة ـ ويصف الشاعر عادة ما يراه في اثناء رحلته من صحراء او اودية او مطر او رياح او نهر او مطر . واشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس.

٥ ـ الحماسة ـ وهي وصف المعارك والفخر بالنفس او بالاسلاف .

٦ ـ الادب والحكمة .

والشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الاغراض ويمر بها مراً خفيفاً . الا انه يتكىء على غرض واحد منها في الاكثر او على غرضين يجعل منهما الموضوع الاساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل والفخر عند عنترة ، او كالغزل والوصف عند امرىء القيس او كالاعتذار عند النابغة .

فنون الجاهلية :

الفن « موضوع » مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع ، وقد يَقْصُرُ عليه القصيدة كلها او اكثرها ، وبكلمة اوضح : ان الغرض اذا تطور واتسع اصبح فناً . فالغزل مثلا « غرض » اذا كان في ابيات قلائل ، وفي مطلع قصيدة في المديح مثلا ، ولكنه « فن » اذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة او شبه تامة ، وقد نسميه ايضاً باباً من ابواب الشعر . اما الفنون الجاهلية او ابواب الشعر الجاهلي فاشعرها وابرزها التي تلي :

١ – باب الادب والحكم والامثال

الادب ويسمى الحكمة ايضاً ، هو ذكر آراء صائبة في الحياة والموت والظلم واللهو والصداقة والاخلاق الحميدة والسعي وما اليها . وقل ان نجد شاعراً لم يرد في شعره شيء من الادب . على ان الادب في الشعر الجاهلي قليل بالاضافة الى ما عرفنا منه في الاسلام ،وخصوصاً في العهد العباسي .

(أ) الحكم المفردة :

اكثر ما ترد الحكم في الجاهلية مفردة : يرد في القصيده البيت بعد البيت ، وترد ابيات الحكمة متفرقة ، قلّ ان يجمعها سلك واحد . فمن الاقوال الحكيمة المشهورة في الشعر الجاهلي قول ذي الاصبع العَدواني :

كل امرئ راجع يوماً لشيمته   وان تخلّق اخلاقاً الى حين

ومثله في الشهرة واصابة القول ابيات الافوه الأوْدي :

البيت لا يُبْتنى الا له عمدٌ   ولا عِماد اذا لم تُرسَ اوتاد .
فان تجمَّع اوتاد واعمـدة   يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا .
لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم   ولا سَراةَ اذا جهالهم سادوا .
تُهدى الامور باهل الرأي ماصلَحت   فان تولت فبالاشرار تنقادُ .

أ ، ب – **طرفة وزهير**

ومع ان طرفة بن العبد وزهير بن ابي سُلمى اشهر حكماء الجاهلية فان الحكمة ترد في شعرهما ابياتاً مفردة وان كانت متعاقبة (اي يلي بعضها بعضاً)، وذلك لان كل بيت منها – وخصوصاً عند زهير – يتضمن معنى قائماً بنفسه ، ضعيف الصلة بما قبله وبما بعده في الاغلب . على ان الذي نلاحظه ان حكم زهير مجموعة من طريق الحيـــاة الطويلة – لان زهيراً عاش دهراً طويلا – فهي تمثل اختبار الشعوب وتنكشف عن نضج اكتشفه زهير من عمره الطويل ، كقوله مثلا :

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعش ثمانين حولاً — لا ابا لك — يسأمِ

رأيت المنايا خبط عشواءَ، من تُصِبْ تُمِتْهُ، ومن تُخْطئْ يُعمَّرْ فيَهرَمِ .

اما حكم طرفة فهي حكم شخصية عرفها طرفة من ظلم اهله له فهي اختبار شخصي كقوله :

وظلم ذوي القُربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهنَّدِ

وآراء طرفة ألصق بالحكمة من آراء زهير واعظم قيمة ، وسيرد الكلام على ذلك عند الكلام على طرفة وزهير .

ج — لبيد بن ربيعة العامري

ولد لبيد بن ربيعة العامري نحو عام ٥٦٠ م ، وقال الشعر في صباه ودخل في المهاجاة بين شعراء قومه . وقد اوفده عمه على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ليدرس موقف الرسول ومقامه فعرف الاسلام وشيئاً من القرآن فأثر ذلك في نفسه كثيراً .

ولما مات عمه وفد في نفر من قومه على الرسول واسلم هو ومن معه . وفي ايام عمر بن الخطاب سكن لبيد الكوفة .

ولبيد من اصحاب المعلقات، له معلقة مطلعها :

عفَت الديار محلُّها فمُقامها بمِنًى تأبَّد غَوْلُها فرِجامها .

وشعر لبيد متين التركيب فخم تكثر فيه الحكمة . ومن خصائص لبيد انه يجيد الرثاء .

وتوفي لبيد نحو سنة ٤١ للهجرة (٦٦٢م) في ايام معاوية بن ابي سفيان، وهو القائل :

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فمن حكم لبيد في معلقته :

فاقطعْ لُبانَةَ من تعرّضَ وصلُه ، ولَشَرُّ واصلِ خُلّةٍ صرّامُها(١).

وأحبُ المجاملَ بالجزيل وصُرمه باقٍ اذا ظلعت وزاغ قوامها(٢).

واقنعْ بما قسمَ المليكُ فإنما قسمَ الخلائقَ بيننا علّامُها (٣).

ومن قصائده المشهورة في الحكم قوله :

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاولُ : أنحبٌ فيُقضى ام ضلال وباطل (٤)؟

أرى الناسَ لا يدرون ما قدرُ امرهم ، بلى ، كلُّ ذي لبٍّ الى الله واسل (٥).

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطل وكل نعيم (٦) لا محالةَ زائل .

وكل أناسٍ سوف تدخل بينهم دويهيةٌ تصفرُّ منها الانامل (٧)

وكل امرئٍ يوماً سيعلم غيبه اذا كُشِفت عند الاله المحاصل (٨)

اذا المرء اسرى ليلة خال أنه قضى عاملاً ، والمرءُ ما دام عامل (٩)

فقولا له ان كان يقسِم امره : ألمّا يعظْك الدهر؟ امك هابل (١٠)

فتعلمَ ان لا انت مدركُ ما مضى ولا انت مما تحذرُ النفسُ وائل (١١)

---

(١) اقطع صلتك بمن تعلم ان صداقته ستتغير اذا نال حاجته منك. ان اسوأ الاصدقاء هم الذين يفعلون ذلك — الصرم : القطع . (٢) واحسن الى الذي يجاملك ويصانعك ولا يقطع مودتك وان كنت تعلم انه لا يحبك كثيراً . ظلع : عرج . زاغ : مال. (٣) المليك والعلام من اسماء الله الحسنى. الخلائق : الطباع . (٤) ماذا يحاول الانسان ان يفعل في حياته : ايحسب ان له غاية يسعى الى تحقيقها ام ان الحياة امر باطل لا غاية له ؟ (٥) اكثر الناس لا يعرفون ماذا يراد بهم ، ولكن ذوي الالباب يقصدون الله باعمالهم ويعلمون انهم واصلون اليه. (٦) كل نعيم دنيوي. (٧) دويهية تصغير داهية للتعظيم اي مصيبة عظيمة . اصفرت الانامل : يبست الاصابع دلالة على الموت . الموت سيأتي على جميع الناس . «٨» اذا كشفت السرائر يوم القيامة . (٩) اذا سافر الانسان ليلة ظن نفسه قد تعب كثيراً وعليه الآن ان يرتاح ، مع ان حياة الانسان عمل متواصل . (١٠و١١) قولا له ان كان يفكر الم تعتبر بحوادث الدهر ؟ ثكلتك امك ! لا انت قادر على ان تعود الى شبابك ولا انت تنجو مما تحذره نفسك « من الموت ».

فان انت لم ينفعك علمك فانتسب   لعلك تهديك القرون الاوائل [١]

وان لم تجد من دون عدنانَ والداً   ودون معدٍّ فلتَزَعْكَ العواذل [٢]

د – عدي بن زيد

ولد عدي بن زيد في الحيرة بالعراق، وفيها نشأ وتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية . وكانت اسرة عدي مقربة في البلاط الفارسي لخدماتها التي كانت تؤديها للفرس في بلاط المناذرة في الحيرة . وكان زيد والد عدي يلي بعض اقسام البريد لكسرى انوشروان . وكذلك كان عدي نفسه كاتباً في ديوان كسرى .

وارسل كسرى انوشروان نحو عام ٥٧٩م عدي بن زيد رسولا الى طيباريوس الثاني ملك الروم البيزنطي . (٥٧٨-٥٨٢) ويبدو ان عدي بن زيد زار في اثناء رجوعه من القسطنطينية مدينة دمشق .

وادرك النعمانُ الثالث ابو قابوس (٥٨٥ – ٦٠٧ م) ان اعمال عدي بن زيد هي في مصلحة الفرس اكثر مما هي في مصلحة العرب انفسهم ، بل اكثر مما هي في مصلحة المناذرة ، فحبسه ثم قتله في السجن نحو عام ٦٠٤م [٣] . وكان مقتل عدي سببا من اسباب النفور بين الفرس والمناذرة ، بل كان سببا في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس .

ولم يكن عدي بن زيد من فحول الشعراء ، لانه كان قرويا (مدنيا) ، والتقدم في الشعر كان دائماً لاهل البادية . اما شعره فهو سهل المعاني غير متين التركيب ، واكثره يدور حول الزهد في امر الدنيا والتزهيد فيها . وله شيء في الخمر احسن اسلوباً وارق ديباجة من شعره في الزهد . اما شعره في الزهد فمنه :

---

(١) اذا انت لم تستطع من تلقاء نفسك ان تعتبر بالدهر (تعلم ان جميع الناس يموتون) فانتسب (حاول ان تعد آباءك واجدادك) ثم انظر هل بقي احد من اسلافك حياً . (٢) فان لم تجد بينك وبين معد وعدنان احداً حياً فارعو عن غيك وايقن ان جميع الاحياء سيموتون كما ان جميع الاموات كانوا احياء . (٣) جميع التواريخ المتعلقة بالمناذرة مضطربة ولذلك تذكر هذه التواريخ من باب التخمين فقط .

اين اهلُ الديار من قوم نوحٍ ثم عادٌ من بعدهم وثمود ؟

بينما همْ على الاسرّة والانماط أفضت الى التراب الجلود.

والاطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سَعوطهم واللَدود (١).

وصحيح اضحى يعود مريضاً وهو ادنى للموت ممن يعود.

ولعدي بن زيد قصيدة طويلة في الحكم اختارها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب في باب المجمهرات ، مطلعها :

أتعرف رسم الدار من ام مَعْبَدِ ؟ نعم ، ورماك الشوق قبل التجلد.

جاء فيها :

أعاذلُ ، ان الجهل من لذة الفتي وان المنايا للرجال بمرصد.

أعاذلُ ، ما ادنى الرشادَ من الفتي وابعدَه منه اذا لم يُسَدَّدِ !

أعاذلُ ، من تُكتب له النار يلقها كفاحاً ومن يكتب له الفوز يَسْعَدِ

أعاذل ، ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد؟

كفى زاجراً للمرء ايامُ دهره تروح له بالواعظات وتغتدي !

وله من قصيدة :

ليس شيء على المنون بباقٍ غيرُ وجه المسبَّح الخلاّق .

اذ نكن آمنين فاجأنا شرٌّ مصيبٌ ذا الود والاشفاق .

ومر عدي بن زيد مع النُعمان على بعض المقابر ، فقال له: اتدري ما تقول هذه القبور ؟ فقال النعمان : لا . قال عدي انها تقول :

---

(١) ان العلاج الذي يصفه الاطباء للمرضى ، السعوط للتنشق بالانف واللدود للفم ، لا ينجي الاطباء انفسهم من الموت .

من رآنا فليحدِّث نفسه ... انه اوفى على قرن[١] زوال.
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتي به صُمّ الجبال[٢]؛
رب قوم قد اناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحَوا عصف الدهر بهم؛ ... وكذاك الدهر يودي[٣] بالرجال.

ومن قصائد عدي بن زيد المشهورة قوله :

ايها الشامت المعيِّر بالدهـ ... ـر، أأنت المبرأ الموفور[٤]؟
ام لديك العهد الوثيق من الـ ... ـايام؟ بل انت جاهل مغرور.
من رأيت المنون خلَّدْن ام من ... ذا عليه من ان يُضام خفير[٥]؟
اين كسرى كسرى الملوك انوشر ... وان، ام اين قبله سابور؟
وبنو الاصفر[٦] الكرام ملوك الـ ... ـروم، لم يبق منهم مذكور.
واخو الحضر اذ بناه واذ دجـ ... ـلة تُجبى اليه والخابور[٧]؛
شاده مرمراً وجلَّله كلـ ... ـساً فللطير في ذراه وكور[٨]؛
لم يهبه ريبُ المنون فباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور.
وتذكَّر رب الخورنق[٩] إذ أشـ ... ـرف يوماً وللهدى تفكير.
سرَّه ماله وكثرة ما يملك ... والبحر مُعرضاً والسدير[١٠]:

١ـ قرن زوال : طرف حياته ـ انه سيموت . ٢ـ حتى الجبال لا تخلد . ٣ ـ يهلك .
٤ـ المبرأ : الذي لا يصيبه المرض او الموت . الموفور : المحفوظ « لا يموت » . ٥ـ المنون . الموت . خلدن . تركن حيا . من ان يضام خفير : من يحميه من الضيم والذل وتقلب الايام. ٦ـ ملوك الروم . ٧ ـ الحضر : قصر . دجله والخابور : يجبى اليه خراج نهري الخابور ودجلة . ٨ـ عال جداً.
٩ ـ الخورنق قصر. ١٠ ـ البحر معرضاً . يظهر النهر امامه واسعاً . السدير قصر .

فأرعوى قلبه فقال : وما غبـ ـطة حي الى الممات يصير (١)؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمة (٢) وارتهم هناك القبور،
ثم صاروا كأنهم ورق جـ ـف فألوت به الصَبا والدَّبور (٣)!

ب ـ الامثال :

الامثال قصص تنطوي على مغزىً اخلاقي ،وهي نادرة في الشعر الجاهلي . وقد ورد في شعر النابغة قصة « الرجل والحية »، وهي مذكورة في مكانها عند النابغة من هذه الدراسة .

(١) ومع ذلك فقد اعتبر وعلم ان الحياة لا قيمة لها ما دام مصير الانسان الى الموت .
(٢) النعمة. (٣) الصبا والدبور . ريح الشرق وريح الجنوب . الوى به : اهلكه.

٢ – المديح والاعتذار

المديح قليل جداً في الشعر الجاهلي وخصوصاً في شعر الشعراء البدو، وهو مفقود عند عنترة مثلا ونادر عند طرفة، ذلك لان نفس البدوي تأبى التكسب لان في التكسب من الآخرين تذلل لا يرضاه البدوي نفسه .

اما المديح الذي نجده عند امرىء القيس مثلا فهو في الحقيقة شكر لان امرأ القيس لم يقله تكسباً، وانما قاله لان قوما نصروه واعانوه فاراد ان يكافئهم على صنيعهم نحوه فشكرهم في شعر قاله فيهم . وكذلك مدائح زهير بن ابي سلمى في الحارث بن عوف وهرِم بن سنان خاصة فانها من هذا الباب. ان الحارث وهرِماً سعيا في الصلح بين عبس وذبيان ثم دفعا ديات القتلى من مالهما الخاص، فوقفت حرب داحس والغبراء بعد ان دامت اربعين سنة . وهكذا قال زهير مدائحه في هذين « السيدين العظيمين » اعجاباً بعملها وكرمها . ثم انه كان يرفض ان يتناول منهما نوالاً على هذه المدائح .

على ان الاعشى والنابغة ثم الحطيئة وحسان بن ثابت كانوا من الشعراء المتكسبين بالشعر . ولقد اخترع النابغة في الشعر العربي باب الاعتذار وهو شدة التذلل في المديح حباً بالتكسب . والكلام على مديح امرىء القيس والنابغة وزهير مبسوط في مكانه من هذه الدراسة .

٣ – الفخر والحماسة (والملاحم)

الفخر هو التمدّح بالخصال (الحميدة) ، او ان يمدح الشاعر نفسه واسلافه بالاعمال المجيدة . والحماسة في الاصل هي الشجاعة . اما في الشعر فالحماسة هي الابيات التي يرد فيها ذكر القتال .

غير اننا اذا رجعنا الى ديوان الحماسة لابي تمام ودرسنا « باب الحماسة »، وهو اول فصول هذه المجموعة الشعرية والذي به سمي الكتاب كله « ديوان الحماسة » ، رأينا انه أوسع مدى ، وانه غير قاصر فقط على المقطعات التي فيها ذكر القتال. ان فيه ابياتا في القتال وفي الموت وفي الغزل وفي الحكمة وفي الهجاء . ولكن اذا أنعمنا النظر في الابيات التي ادخلها ابو تمام في « باب الحماسة » ادركنا انها تتضمن المعاني التي تدل على « الصبر على الحوادث والتجلد للايام » . من ذلك مثلا ان اعرابياً اصاب ابن اخ له خطأ فقتله ، فوقف والد المقتول بين امرين : اما ان يصبر على فقد ابنه ، او ان يأخذ بثأره من اخيه ، وكلاهما شديد عليه . حينئذ تجلد وقال (١ : ٧٣) :

اقول للنفس تأساءً وتعزية : احدى يديَّ اصابتني ولم تُرِدِ

كلاهما خلَف من فقد صاحبه ، هذا اخي حين ادعو وذا ولدي

ومثل ذلك قول شاعر يدعو الى التجلد والصبر على مفارقة الاهل والاوطان في سبيل العيش في نعمة ورغد ، قال (١ : ١٠٤–١٠٥) :

لا يمنعنَّكَ خفضَ العيش في دعةٍ نزوعُ نفسٍ الى اهلٍ وأوطانِ .

تلقى بكل بلاد ان حللتَ بها اهلا باهلٍ وجيراناً بجيران !

وعلق التبريزي – شارح ديوان الحماسة على ذلك بقوله : « وضع ابو تمام هذين البيتين في باب الحماسة لانهما صادران عن قسوة شديدة وعدم مبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير، لان ترك الوطن والاخلال بالعشيرة ربما ادى الى التخاذل والتقاتل ، فالصبر عليه كالصبر على القتال ».

واذا نحن تأملنا الابيات التي ادخلها ابو تمام في باب الحماسة ،سواء أكانت في الحرب ام في الغزل ام في الهجاء ام في الادب ام في الفخر ،رأينا انها تنطوي ايضاً على تجلد وصبر وشدة وصلابة نفس. ولعل ابيات ابراهيم بن كُنيف النبهاني تمثل ذلك احسن تمثيل (١ : ٩٥–٩٦) .

تعزَّ فان الصبر بالحر اجملُ ، وليس على ريب الزمان مُعَوَّلُ [١].
فلو كان يُغني ان يُرى المرء جازعاً لحادثةٍ او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ونازلة بالحر اولى واجمل [٢].
فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامه [٣] وما لامرىء عما قضى الله مزحل.
فان كانت الايام فينا تبدلت بنُعمى وبُؤسى [٤] والحوادث تفعل.
فما لَيَّنت منا قناة صليبةً ، ولا ذللتنا للتي ليس تجمُل [٥].
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تُحَمَّلُ ما لا يُستطاع فتَحمل [٦].
وَقَينا بحسن الصبر منا نفوسَنا فصحت لنا الاعراض والناس هُزَّل [٧]

فالحماسة اذن هي الشعر الذي فيه تجلد وصبر وصلابة نفس ، في اي فن من فنون الشعر كان . ولكن بما ان التجلد والصبر وصلابة النفوس تكون عادة في الحرب والمصائب **فالحماسة تتناول الفخر والقتال** في الاكثر كقول عنترة :

---

(١) لا يمكن ان نعتمد على الزمان ونركن اليه [نأمن غدره] . (٢) لو كان الحزن يفيد عند المصائب لكان خليقاً بالانسان ان يحزن . (٣) موته . (٤) تعاقبت بالخير والشر ، مرة بعد مرة . (٥) المصائب لم تضعف نفوسنا ولم تذلنا فنفعل اشياء لا تليق بنا [من الحزن والخوف من الآخرين مثلا] . (٦) يشبه النفوس هنا بالمطايا [بالنياق] فيقول : سقناها وقاشريفا وحملناها اشياء كثيرة ثقيلة فحملتها . (٧) وقينا : حافظنا بصبرنا على عزة نفوسنا فسلمت اعراضنا من العار بينما سائر الناس ناحلون مهزولون لم يستطيعوا تحمل المصائب مثلنا .

بكرت تخوفني الحتوف كأنني   اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل (١).

فأجبتها : ان المنية منهل   لا بد ان أسقى بكأس المنهل.

فاقني حياءك (٢) ـ لا اباك ـ واعلمي

اني امرؤ سأموت ان لم أقتل.

إني امرؤ من خير عبس منصباً   شطري ، واحمي سائري بالمنصل.

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت   أُلفيت خيراً من معم مخول (٤).

والخيل تعلم والفوارس أنني   فرقت جمعهم بضربة فيصل (٥).

والخيل ساهمة الوجوه كأنما   تسقى فوارسها نقيع الحنظل (٦).

ولقد أبيت على الطوى وأظله   حتى انال به كريم المأكل (٧).

* *

المـلاحم خاصة :

الملحمة هي المعركة العظيمة التي يكثر فيها القتل ، وجمعها ملاحم . والملاحم

---

(١) جاءت الي باكراً تحذرني بان لا اذهب الى القتال حتى لا القى حتفي [موتي] ، كأنني اذا اطعت امرها فلم اذهب الى الحرب لا يصل الي الموت — الغرض : الهدف ، معزل : منجى . (٢) احتفظي بوقارك . (٣) منصباً : مقاماً . شطري : نصفي [نسبي من ابي] من بني عبس ، وهو جزء شريف يحترمني الناس بسببه . واما نصفي الآخر ، الذي هو من امي والذي يعيرني الناس به « لان امه كانت جارية حبشية سوداء » فانا ادافع عنه بالسيف ، بشجاعتي ، فيصبح شريفا كنسبي من ابي . — شطري : مبتدأ . (٤) الكتيبة : جماعة المحاربين . احجم : تأخر ، خوفا وجبنا او لكثرة عدد العدو . تلاحظت : جعل بعض المحاربين يلاحظ بعضهم الآخر ويستحث كل انسان غيره على القتال . — في هذه الحال اهجم انا واكون ، وانا الذي امي عبدة حبشية سوداء ، خيراً من الذين ينتمون الى الانساب الكريمة من جهة امهم وابيهم معا . (٥) الفيصل : السيف . (٦) ساهم : عابس . الحنظل : نبات مر . (٧) ابيت على الطوى : اقضي الليل جائعا . اظله : استمر طول النهار جائعا ايضا .

ايضاً « تاريخ الدول » نظماً أو نثراً ، قال ابن خلدون (١) : « ثم كتب الناس من بعد ذلك في حَدَثان الدول منظوماً ومنثوراً ورجزاً ... وبايدي الناس كثير منها وتسمى الملاحم ، وبعضها في حَدَثان الملة على العموم ، وبعضها في دولة دولة على الخصوص... فمن الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مُرّانة... وذكر فيها استيلاء دولة لمتونة على سبتة من يد موالي بني حمود ومُلكهم لعُدوة الاندلس . ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضاً قصيدة تسمى التُبّعية ... قريباً من خمسمائة بيت او الف» . وعلى هذا يمكن ان نعد كثيراً من ادب العرب في الملاحم كالمعلقات وقصة عنترة وسواها كقصة رأس الغول وسيف بن ذي يزن . على ان بعض المعلقات اقرب الى ان تسمى ملاحم من بعضها الآخر . فمعلقة عنترة ومعلقة عمرو ابن كلثوم على الاخص اجدر بهذا الاسم من معلقة امرىء القيس مثلا .

ويحسن ان نوازن هنا بين الملاحم عند العرب والملاحم عند الافرنج . تعرف الملحمة في اللغة اليونانية باسم « ابوس » ، ومعنى الكلمة لغوياً « قصة » ، الا ان لفظة « أبوس » كانت تطلق على الشعر القصصي اذا كان شريف المعاني متين التركيب ، وكثيراً ما كان في هذا النوع من الشعر مغامرات وقتال . والملاحم عند اليونان كانت تدور حول بطولة الافراد كما كانت تدور حول الحروب العامة وحول الخرافات الدينية ايضاً ، وقد كان لها فوق ذلك مغزى تهذيبي . واشهر الملاحم اليونانية إلياذة هوميروس بلا ريب . ومع ان إلياذة هوميروس هي اقدم ما وصل الينا من الادب اليوناني فانها ليست اقدم الادب اليوناني . ان قضية الالياذة ، من هذه الناحية ، كقضية المعلقات في الادب العربي .

**

فلنأخذ اذن من الملاحم العربية معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حِلزة وشيئاً من شعر عنترة ، ثم قصة عنترة .

سبب المعلقتين :

كانت معلقة الحارث بن حِلّزة رداً على معلقة عمرو بن كلثوم في حضرة ملك

(١) المقدمة ٣٣٨ وما بعدها .

الحيرة عمرو بن هند فيما قيل ، وذلك بعد ان اراد عمرو بن هند ان يصلح بين بكر وتغلب — قبيلتي الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم — بعد ان طالت العداوة بينهما من اثر حرب البسوس .

حرب البسوس :

كان وائل بن ربيعة المعروف باسم كليب وائل ، ملكاً على قومه ، وقد بلغ من السلطة والقوة حداً خرج به الى الاستبداد والظلم حتى كان يحمي مواقع المطر ، وذلك اذا نزل المطر بارض فسال عيناً او انبت عشباً جاء وائل فالقى كُلَيْباً (جرو كلب) حيث نزل المطر فيعوي ذلك الكليب ، فلا يستطيع احد ان يستقي من مكان يُسمع فيه عُواء الكليب او يرعى غنمه فيه إلا باذن من وائل .

وكان لوائل (او لكليب وائل) زوجة لها اخوة احدهم اسمه جَساس بن مُرة الشيباني ترعى ابله وابل كليب معاً . فاتفق ان نزل يوماً بجساس هـذا قوم من اقاربه ومعهم ناقة اسمها البسوس — وقيل بل البسوس اسم خالة جَساس(١) — فرعت مع ابل جساس وابل كليب في مكان واحد . ورأى كليب الناقة فعرف انها غريبة ولم يدر لمن هي فاطلق عليها سهما فقتلها . فغضب اصحاب الناقة وعرّضوا بجساس واتهموه بانه « لا يحمى جيرانه وضيوفه » (وكان ذلك عاراً عظيماً في الجاهلية) ، فثار جساس الى كليب فقتله . فنشبت من جراء ذلك حرب عرفت باسم حرب البسوس دامت العداوة فيها (لا المعارك) نحو اربعين سنة . وكان آخر من قُتل فيها جساس نفسه ، نحو عام ٥٣٤ م.

الصلح بين بكر وتغلب :

ويظهر ان ملوك الحيرة ارادوا ان يصلحوا بين بكر وتغلب ، وقد حاول ذلك المنذر الثالث (٥٠٥ — ٥٥٤ م) المعروف بابن ماء السماء ، ثم حاول ذلك ايضاً ابنه عمرو بن هند (نحو ٥٥٤ — ٥٦٩ م). وتحاجز الفريقان عن القتال ولكن لم تَمُتِ العداوة التي بينهما .

---

(١) راجع تاج العروس ٤ ١٠٨-١٠٩

التحكيم والحكم لبكر على تغلب :

واراد البكريون والتغلبيون ان يضعوا حداً للنزاع بينهما فاختكموا في خلاف لهم جديد الى عمرو بن هند، فواعدهم عمرو بن هند يوماً يحتكمون فيه اليه. وفي اليوم الموعود حضر اشراف القبيلتين وفرسانهم . ونهض عمرو بن كلثوم سيد بني تغلب وشاعرهم فالقى معلقته ، او قسما من معلقته ،بين يدي عمرو بن هند . ثم نهض الحارث بن حلزة شاعر بني بكر والقى معلقته – قيل مرتجلا . فيقال ان عمرو بن هند كان اكثر تأثراً بمعلقة الحارث فحكم لبني بكر على بني تغلب . والحق ان الحارث كان اكثر ليناً و « سياسة » في مخاطبة عمرو بن هند ، بينما كان عمرو ابن كلثوم اكثر فخراً بقومه ، شديد التعريض بعمرو بن هند نفسه .

مقتل عمرو بن هند

ولم يرض بنو تغلب بحكم عمرو بن هند فانصرفوا غاضبين .

واتفق مرة ان طلب عمرو بن هند من عمرو بن كلثوم ان يزوره ، في حديث طويل . فجاء عمرو بن كلثوم تصحبه امه ليلى ، فنزل هو على الملك عمرو بن هند ونزلت امه ليلى على هند ام الملك . فيقال ان هندا ارادت ان تستخدم ليلى إدلالا عليها (لانها هي ام ملك) ، وإدلالاً لليلى (لان ليلى كانت معتزة بنفسها وبابنها عمرو بن كلثوم كثيراً) فقالت لها : « ناوليني هذا الطبق ». فردت ليلى عليها قائلة : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » . ولكن هندا اعادت القول على ليلى ، فغضبت ليلى وصرخت : « واذُلاه ، يا لَتغلب ! » فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار غضبه، وعلم ان امه قد اهينت فهجم على عمرو بن هند وقتله .

عمرو بن كلثوم ومعلقته

عمرو بن كلثوم من الشعراء المقلين ، وليس من الطبقه الاولى من الشعراء الجاهليين ، فان ابن سَلام عده في الطبقة السادسة مع الحارث بن حِلزة وعنترة وسُويد بن ابي كاهل .

موجز ترجمته وخصائصه :

عمرو بن كلثوم من بني تغلب، وكانت تغلب تسكن في الجزيرة (شمالي سورية والعراق) . وكان عمرو فارساً شجاعاً أبي النفس ساد قومه صغيراً، زعموا ابن خمس عشرة سنة . وعمرو بن كلثوم هو الذي قتل ملك الحيرة عمرو بن هند على ما مر بنا . وعاش عمرو بن كلثوم دهراً طويلا زعمه بعضهم مائة وخمسين سنة !

عمرو بن كلثوم شاعر مقل وصلنا من شعره معلقته وبضعة مقطعات في الحماسة. ويقال ان معلقته كانت طويلة جداً تبلغ نحو الف ومائة بيت؛ ولكن لم يصلنا الا عشرها . ويبدو ان معلقة عمرو بن كلثوم ترجع الى زمنين منفصلين : نُظم بعضها قبل مقتل عمرو بن هند ونظم بعضها بعد مقتله .

والمعلقة هذه تدور على الحماسة : يفتخر فيها الشاعر بقومه ويكثر فيها من مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد والتهديد، ثم يذكر يوم خزازى(١) وهو معركة . وفي المعلقة شيء من وصف الخمر والغزل ومن الحكمة .

المختار من المعلقة :

ألا هُبي بصحنك فاصبَحينا ـ ولا تبقي خمور الاندرينا (٢)،

مُشَعْشَعَةً كأن الحُصَّ فيها ، اذا ما الماء خالطها سَخينا (٣).

ترى اللحِزَ الشحيح اذا أُمِرّت عليه، لماله فيها ، مُهِينا (٤).

صبَنْتِ الكأسَ عنا ، امَّ عمرو ، وكان الكأس مجراها اليمينا (٥).

وما شر الثلاثة ، امَّ عمرو ، بصاحبك الذي لا تصبَحينا (٦).

---

(١) يوم خزازى معركة عظيمة بين نزار ، عرب الشمال ، وبين اليمن، عرب الجنوب ، كانت الغلبة فيها لنزار . (٢) هبي : استيقظي : او انهضي مطلقا . الصحن : القدح العظيم . اصبحينا : اسقينا الخمر صباحا . الاندرون من قرى الشام – لاتدخري عنا خمر الاندرين، الخمر الجيدة . (٣) مشعشعة: ممزوجة بالماء . الحص : نبات له زهر اصفر او احمر . سخينا . حاراً . سخينا : أصبحنا اسخياء، كرماء . (٤) اللحز : الضيق الصدر . الشحيح : البخيل . اذا شربها البخيل الضيق الصدر اصبح سمحا كريما . (٥) صبن : صرف – لما جاء دوري في الشرب لم تسقني . (٦) انا ، الذي لم تسقني لست شراً من الشخصين اللذين سقيتهما .

وكأسٍ قد شربت ببعلبكٍّ واخرى في دِمشق وقاصرينا .

وإنّا سوف تدركنا المنايا مُقدَّرةً لنا ومقدرينا (١) .

وإن غداً وان اليوم رهنٌ وبعدَ غدٍ بما لا تعلمينا (٢) .

قفي قبل التفرق ، يا ظعينا ، نخبرك اليقين وتخبرينا (٣) ،

بيوم كريهة ضربًا وطعنا اقرَّ به مواليك العيونا (٤) .

* * *

أَبا هند فلا تعجَلْ علينا وأنظرنا نخبّرك اليقينا (٥) .

بأنّا نُورد الراياتِ بيضًا ونصدرهن حُمْراً قد رَوينا (٦) .

وايام لنا غُرَّ طِوالٍ عصَينا المَلْكَ فيها ان نَدينا (٧) .

ورثنا المجد قد علمت معدٌّ نطاعن دونه حتى يبينا (٨) .

بسُمْرٍ من قنا الخطي لُدْنٍ ذوابلَ او ببيض يعتلينا (٩) ،

نشقُّ بها رؤوس القوم شقـًا ونُخليها الرقاب فتختلينا (١٠) .

كأن جماجم الابطال فيها وُسوقٌ بالاماعز يرتمينا (١١) .

---

(١) الموت مكتوب علينا يأتي في وقته . (٢) سيأتيك اليوم وغد وبعد غد بحوادث لا تعلمينها (٣) الظعين : المرأة في الهودج : هنا . المحبوبة . (٤) الكريهة : الحرب ، يكون الضرب بالسيف والطعن بالرمح . مواليك : اعمامك ظفرنا في هذا الحرب فسر قومك . (٥) ابا هند : ياعمرو بن هند . (٦) نأخذ راياتنا الى الحرب بيضا ثم نرجع بها حمراً من دم الاعداء . (٧) ايام : معارك . غر : بيض نصرنا فيها ، طوال : مشهورة — حاربنا الملوك حتى لا نخضع لهم (٨) يبين : يظهر حقنا في المجد (٩) برماح سمر لينة جافة نضجت في منابتها . يعتلينا ، يرتفعن فوق رؤوس الاعداء . (١٠) اختلى قطع بسهولة . (١١) وسق : حمل . اماعز ، جمع امعز : مكان فيه حجارة . بعد المعركة كانت رؤوس الاعداء كانها احمال حجارة ، او بطيخ ، ملقاة على الارض .

نجز رؤوسهم في غير برّ   فما يدرون ماذا يتقونا (١)
كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بايدي لاعبينا (٢)
كأن ثيابنا منا ومنهم   خُضِبْنَ بأرْجوان او طُلينا (٣)
اذا ما عيّ بالاسناف حيٌّ   من الهول المشبَّهِ ان يكونا (٤)
نصبنا مثل رهوةَ ذاتَ حدّ   محافظةً ، وكنا السابقينا (٥)
بشبان يَرَون القتل مجداً   وشيب في الحروب مجرّبينا
بأي مشيئةٍ ، عمرَو بن هند ،   نكونُ لقَيْلهم فيها قَطينا (٦)
بأَي مشيئةٍ ، عمرو بن هند ،   تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٧)
تهددنا وتوعدنا ، رويداً !   متى كنّا لأمّك مُقتوينا (٨)
فان قناتنا ، يا عمرو ، أعيت   على الأعداء قبلك ان تلينا (٩)
ونحن غداةَ أُوقد في خزازى   رفدنا فوق رِفد الرافدينا (١٠)
وكُنَّا الايمنينَ إذ التقينا   وكان الايسرين بنو أَبينا
فصالوا صولة في من يليهم   وصُلنا صولة في من يلينا (١١)

---

١) بر : شفقة . كثر ضربنا لرؤوس الاعداء حتى ما كانوا يعلمون كيف يهربون من سيوفنا ٢) المخاريق (جمع مخراق « مرقيعه ») : قطع من نسيج يجعل في رؤوسها عقد ثم يتضارب اللاعبون بها . – كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لو كنا نلعب بالمخاريق . ٣) ارجوان : صباغ احمر . خضب : صبغ . طلى : دهن . ٤، ٥) عي : عجز . بالاسناف : بالاقوام . – اذا عجز المحاربون الاحياء ان يتقدموا [مشياً باقدامهم الى الامام] خوفاً من الخطر [لكثرة الاعداء مثلا]. الرهوة : المكان المرتفع . – اذا تعذر علينا في الحرب ان نتقدم الى قتال الاعداء رفعنا حاجزاً لنحمي انفسنا ونحن دائما سباقون . ٦) القيل : الملك او الرئيس. القطين: الخادم . ٧) ازدرى : احتقر ٨) مقتوون : متخذون للخدمة ٩) نفوسنا لم تذل الملوك قبلك حتى تذل لك الآن . ١٠) خزازى اسم جبل ومعركة من معارك العرب . غداة اوقد في خزازى : في اليوم التالي لمعركة خزازى – وكان العرب يوقدون على جبل خزازى ناراً غداة الغارة . رفد : ساعد – ساعدنا (نزاراً على اليمن) اكثر مما يستطيع احد غيرنا ان يساعد (في الحرب) . ١١) صال : هجم. يلي : يقرب من.

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأُبْنا بالملوك مُصَفَّدينَا (١)

اليكم يا بني بكر اليكم ، أَلمـَّا تعلموا منَّا اليقينَا (٢)؟

ألمـَّا تعلموا منَّا ومنكم كتائبَ يَطَّعِنَّ ويرتمينَا (٣)؟

وتحملنَا غداة الرَّوع جُرد عُرِفْنَ لنَا نقائذَ وأُفتُليا (٤)

ورثنَاهن عن آباء صدق ونورثها اذا متنَا بنينَا

وقد علِم القبائلُ ، غيرَ فخر ، إذا قبب بابطحها بُنِينَا (٥)

بأنَّا العاصمون إذا أُطعنَا وانـَّا العارمون اذا عُصينَا (٦)

وأنا المطعمون إذا قَدَرْنَا وانا المهلكون اذا أُبتُلينَا (٧)

وانا المانعون لمـا اردنا وانا النَّازلون بحيث شينَا

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينَا

على آثارنا بيض حسانٌ نحاذر أَن تُقَسَّمَ او تهونا (٨) :

ظعائنُ من جُشَم بن بكر خَلَطْنَ بميسم حسبا ودينَا (٩)

---

١) مصفدون : مقيدون بالاصفاد ٢) اليكم .. : ابتعدوا عنا ، اتركوا منافستنا ، الم تعرفوا بعد قوتنا في الحرب ؟ ٣) الم تعلموا كم من الكتائب طعنت افرادها في حربنا ثم ارتموا قتلى اوجرحى ٤) جرد جمع اجرد : حصان قليل الشعر ، اصيل . غداة الروع : صباح اليوم الذي نذهب فيه الى الحرب . نقائذ جمع نقيذة : منقذة . — اذا سقط احد منا في المعركة حمته فرسه وانقذته كيلا يقع اسيراً في يد اعدائه . افتلى : فطم ، قطع عن الرضاع (هذه الخيل ولدت عندنا وتربت عندنا) . ٥) القبة : الخيمة من جلد ، وتكون للملوك والرؤساء . الابطح: الارض المستوية . ٦) من اطاعنا عصمناه (دافعنا عنه وحميناه) ، ومن عصانا عرمنا عليه (قوينا عليهم ، ظلمناه ، قتلناه) . ٧) قدرنا : طبخنا (في القدر) . ابتلى : جرب — من جرب حربنا هلك . ٨) بيض : نساء . نحاذر ان تقسم : نخاف ان يأسرهن الاعداء فيقسمهن بين المتحاربين. تهون : تذل ، يعتدى على اعراضهن ٩) الظعينة : المرأة . ميسم : علامة (جمال ، حسن) — اضفن الى جمالهن شرف النسب والحسب .

أخذن على فوارسهن عهداً ... إذا لاقوا فوارسَ مُعلَمينا (١)

لَيستلِبُنَّ افراساً وبيضاً ... وأسرى في الحديد مُقرَّنينا (٢)

يُقِتْنَ جيادنا ويقلن : لستم ... بعولتنا اذا لم تمنعونا (٣)

اذا لم نحمِهن فلا بقينا ... لشيءٍ بعدهن ولا حيينا !

اذا ما المَلْكُ سام النَّاسَ خسفاً ... أبينا ان نُقِرَّ الذُّلَّ فينا (٤)

ألا لا يجهلَنْ احدٌ علينا ... فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا (٥)

ألا لا يَحْسَبِ الاعداء انّا ... تضعضعنا وانا قد ونينا (٦)

كأنا ، والسيوف مسلّلاتٌ ، ... ولدنا النَّاس طُرّاً اجمعينا (٧)

اذا بلغ الفطام لنا صبي ... تَخِرُّ له الجبابر ساجدينا

ملأنا البر حتي ضاق عنَّا ... وظهر البحر نملأه سفينا

لَنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

ب _ الحارث بن حِلِّزة ومعلقته

الحارث بن حلزة شاعر مقل كعمرو بن كلثوم ، وقد عده ابن سلام ايضاً في الطبقة السادسة مع عمرو . وللحارث ايضاً معلقة وبضع مقطعات .

---

١) فوارسهن : رجالهن . معلمين : كاشفين عن وجوههم في الحرب ، ابطال . كان الفرسان يتقنعون كيلا يعرفون فيأخذ الناس بثأرهم منهم . ولكن البطل العظيم كان لا يبالي بغيره فيكشف وجهه ٢) ليستلبن : ليغنموا خيل الاعداء وسيوفهم ثم يأسروا الاعداء انفسهم ويصفدوهم في الحديد. ٣) يقتن جيادنا : يعلفن (يطعمن) خيولنا . تمنعونا تحافظون علينا ، تحموننا . ٤) اذا الملك ظلم كل الناس فنحن وحدنا لا نقبل بظلمه . ٥) الجهل هنا ضد الحلم – اذا سفه احد علينا زدنا عليه في السفاهة ٦) وني يني : ضعف ٧) اذا سللنا سيوفنا في الحرب شعرنا كأننا ولدنا جميع الناس ، اي كأنهم كلهم اولادنا يجب علينا ان نحميهم ، ونحن نستطيع ذلك .

موجز ترجمته وخصائص شعره :

كان الحارث بن حلزة شاعر بني بكر وسيداً فيهم ، وكانت مساكن بني بكر في العراق . وشهد الحارث عمرو بن كلثوم وهو ينشد معلقته عند عمرو بن هند ، فرد عليه واستمال عمرو بن هند فحكم عمرو بن هند لبني بكر على تغلب . وقيل ان سبب ميل عمرو بن هند الى بني بكر ان الحارث تقرب بمعلقته الى الملك عمرو بن هند ومدحه ، بينما عمرو بن كلثوم نفره بما ساق في قصيدته من الفخر بقومه وبما حشاها من التعريض بالملوك والابطال والظالمين .

وشعر الحارث بن حلزة سهل رائق حتى قيل ان معلقته منحولة لحسن ديباجتها وسهولة لفظها وتراكيبها ، فهي عندهم اشبه بالشعر العباسي ، وخصوصاً لانها من البحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) وهو بحر كان نادراً في الجاهلية ولكنه ذاع في العصر العباسي .

المختار من معلقته :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يُمَلُّ منه الثواء (١)

بعد عهد لنا ببرقة شما ء فأدنى ديارها الخلصاء (٢)

لا ارى من عهدت فيها فابكي الـ ـيوم دلهاً وما يُحير البكاء (٣)

وبعينيك اوقدت هندُ النا رَ أخيراً تُلوي به العلياء (٤)

فتنورت نارَها من بعيد بخزازى هيهاتِ منه الصلاء (٥)

اوقدتها بين العقيق فشخصيـ ـن بعود كما يلوحُ الضياء (٦)

---

١) اخبرتنا اسماء انها سترحل عنا ، ورب مقيم (غيرها) يمل منه المكان الذي يقيم فيه ٢) بعد ان التقينا في برقة شماء والخلصاء التي هي اقرب ديارها لنا . ٣) دلها : جزعاً ، من ذهاب العقل - ما يحير البكاء ؟ : ما يفيد ؟ ٤) ظهرت اسماء وهي راحلة عنك مبتعدة كأنها في عينيك نار مشتعلة ولكنها اخيراً غابت عن بصرك (او لعلها اوقدت ناراً حقيقية) . رأيت نارها من بعيد ، ولكن رؤية النار من بعيد لا تدفيء ، وكذلك رؤية اسماء من بعيد لا تفيد . ٥) خزازى : اسم جبل - ٦) ظهرت نارها ضعيفة لبعدها ؟

وأتانا من الحوادث والأنبا ء خطبٌ نُعنى به ونُساء

أن اخواننا الاراقم يغلو ن علينا في قيلهم إحفاء : (١)

يخلطون البريء منا بذي الذنـ ـب ، وما ينفع الخليَّ الخلاء (٢)

زعموا ان كل من ضرب العيـ ـر مُوالٍ لنا وانّا الولاء (٣)

اجمعوا امرهم بليلٍ فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء (٤)

من منادٍ ومن مجيب ومن تصـ ـهال خيلٍ خلال ذاك رُغاء (٥)

* * *

أيها الناطق المُرَقِّشُ عنا عند عمروٍ ، وهل لذاك بقاء (٦) ؟

لا تخَلْنا على غَراتك إنّا قبل ما قد وشى بنا الاعداء (٧)

فبقينا على الشناءة تَنميـ ـنا حصون وعِزّةٌ قعساء (٨)

ملك مقسط وافضل من يمـ ـشي ، ومن دون ما لديه الثناء (٩)

---

١) الاراقم : قسم من بني تغلب . يغلون علينا : يبالغون في اتهامنا . القيل : القول ، احفاء : إلحاح ، تحامل . ٢) الخلي : البريء . يعدوننا كلنا مذنبين ، حتى البريء لا تنفعه براءته . ٣) في الاصل : العير بفتح العين : الحمار ، ولا معنى له على الرغم مما تمحل له الزوزني في « شرح المعلقات السبع » من الوجوه . ولعل الصواب العير بكسر العين : القافلة وحينئذ يستقيم المعنى لان الخلاف بين بكر وتغلب عند عمرو بن هند كان يدور حول هلاك الرهائن من بني تغلب . وكان عمرو بن هند قد وجههم مع الرهائن من بني بكر في شأن له فهلك التغلبيون . راجع ايضاً سورة يوسف « ١٢ : ٨٢ » : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها » . موال لنا : قريب لنا . نحن من حزبه . انا الولاء: اننا اصحاب ولائهم والمسؤولون عن اعمالهم الضامنون لجرائمهم . ٤) هم دبروا هذا الامر في الخفاء واختلقوا علينا هذه التهمة ، ولما اصبح الصباح اخذوا يلوحون بها . ٥) اختلطت اصوات الناس باصوات الخيل والابل . ٦) المرقش : المزوق ، الكاذب . عمرو : عمرو بن هند . بقاء : ثبات ، صحة . ٧) لا تظن ان اغراءك الملك بنا يخيفنا ، فقبلك وشي بنا كثيرون فلم يضرونا . ٨) ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا يرتفع شأننا وتحمينا حصوننا وشجاعتنا . ٩) مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : الثناء لا يفي باعماله الكريمة والصالحة

ايما خُطة أردتم فأدّو ها الينا تشفي بها الأَملاء (١)

لا يُقيمُ العزيز بالبلد السهـ ل ولا ينفعُ الذليل النَّجاء (٢)

ليس ينجي الذي يوائل منا رأس طَوْدٍ وحَرَّةٌ رَجلاء (*)

ملكٌ أَضرعَ البريةَ لا يو جد فيها لما لديه كِفاء (٤)

كتكاليف قومنا أذ غزا المنـ ذرُ، هل نحن لابن هند رِعاء (٥)

ما أصابوا من تغلبي فمطلو ل عليه، اذا أُصيبَ، العَفاء (٦)

* * *

ايها الناطق المبلِّغُ عنا عند عمرو وهل لذاك انتهاء (٧)

فاتركوا الطيخ والتعاشي فإما تتعاشَوْا ففي التعاشي الداء (٨)

واذكروا حِلفَ ذي المجاز وما قُدِّمَ فيه العهودُ والكفلاء (٩)

حذرَ الجور والتعدي، وهل ينـ قُضُ ما في المهارق الاهواء (١٠)

واعلموا اننا واياكُمُ فيـ ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء (١١)

---

١) الاملاء جمع ملأ : الاشراف. — اعرضوا على اشرافنا كل مشكلة تعرض لكم وهم يجدون لها حلا ٢) القوي المعتز لا يسكن في البلد السهل — حيث يسهل ظلمه واستعباده — النجاء : الخروج، الهرب — والذليل اينما ذهب يبقى ذليلا . ٤) اضرع البرية : ملك الناس وساسهم واقتدر عليهم وليس له مثيل فيهم «؟» ٥) التكاليف : المشقات . لما غزا المنذر غزا قومنا معه فتحملوا مشاق كثاراً . — أنحن وحدنا رعية لعمرو بن هند ؟ ٦) اذا قتل رجل من تغلب طُل دمه — هدر فلم يأخذ احد بثأره — ، اما بنو بكر « قوم الحارث » فيأخذون بثأر قتلاهم . ٧) ايها الناطق ... الا تنتهي عن تبليغ الاخبار ، اي الوشاية بنا . ٨) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . ٩) ذو المجاز : المكان الذي عقد فيه عمرو ابن كلثوم الصلح بين بكر وتغلب . العهود : المواثيق . الكفلاء : الرهائن . ١٠) المهارق «الورق» احذروا الظلم والتعدي فان العهود المكتوبة لا يجوز ان تخالف ١١) الشروط التي اتفقنا عليها تلزمكم كما تلزمنا . *) ان الذي يهرب منا الى راس جبل او الى ارض حرة « بركانية » رجلاء خشنة يترجل فيها ، اي لا تسير فيها الخيل والابل . — لا ينجو

أعلينا جُناح كِندَةَ أن يغْ نَمَ غازيهمُ ومنا الجزاء (١)
ليس منا المضرّبون ولا قيـ س ولا جندلٌ ولا الحذّاء (٢)
ام جنايا بني عتيق فانا منكمُ إن غدرتمُ لَبَراء (٣)

ج ـ عنترة وحماسته

ويلحق بباب الملاحم قصائد عنترة في الحماسة ولا سيما معلقته . وكذلك قصة عنترة ملحمة من الطراز الاول ، فليراجع ذلك كله في الفصل الذي يعالج شعر عنترة من هذه الدراسة .

١) اتغزوكم كندة وتغنم منك ثم تريدون ان تأخذوا ثأركم منا نحن. ٢و٣) – لا الذين اعتدوا كانوا منا ولا الذين اعتدي عليهم ، فاذا اردتم ان تغدروا فانا نتبرأ منكم .

٤ — الرثاء

الرثاء وصف الميت والتفجع له وذكر حسناته في الحياة . ويكون الرثاء من حيز المديح فيأتي فخماً متيناً شريف المعاني جامعاً للحكمة والتأمل في الحياة . وقد يكون من حيز الغزل فيأتي رقيقاً سهلا قريب المعاني فياض العاطفة كثير التفجع. والرثاء كالغزل ينبع في النفس الانسانية وهو قديم قدم الموت ، ولذلك كثر في الشعر كله قبل الاسلام وبعده .

والرثاء — بالاضافة الى الراثي — قسمان : قسم يقوله الشاعر في اهله كأبيه وولده واخيه وزوجه ، ويكون مبنياً على العاطفة ، ثم قسم يقوله الشاعر اعجاباً بنفر من الغرباء كالقواد العظام والحكام والعلماء وفي الاصدقاء . ولا ريب في ان القسم الاول الصق بالعاطفة واخلق باسم « الرثاء » .

ولقد كان في الجاهلية شعراء اشتهروا بمراثيهم في اهلهم خاصة نعد منهم ساعدة بن جُؤيّة وابا خِراش والمتنخل ، وهؤلاء هُذَليون ، ثم لبيد بن ربيعة ودُريد بن الصِمة والمهلهل ، واقدمهم المهلهل . ولقد ادرك الاسلام من الجاهليين شعراء برعوا في الرثاء نعد منهم ابا ذؤيب الهذلي والخنساء ومتمم بن نويرة ثم مالك بن الرَيب وقد لدغته حية وايقن بالهلاك فرثى نفسه .

. . . .

ا — المهلهل

المُهلهِل هو عدي بن ربيعة التغلبي من اهل العراق ومن اقدم الشعراء الذين وصلت الينا اخبارهم، اذ هو خال امرىء القيس وجد عمرو بن كلثوم لامه . وتوفي المهلهل في حدود ٥٣٠ م.

والمهلهل اخو كليب وائل الذي قتله جساس فأدى مقتله الى نشوب حرب البسوس بين بكر وتغلب. فلما قتل كليب جعل اخوه المهلهل يرثيه .

فَمِنْ مراثي مُهَلهِلٍ في اخيه كليب :

ـ اختار ابو تمام في كتاب الحماسة من رثاء المهلهل لاخيه كليب :

نُبئت ان النار بعدك أُوقدت واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلس

وتكلموا في امر كلِّ عظيمة ، لو كنتَ شاهدَهم بها لم ينبِسوا (١)

واذا تشاء رأيت وجهًا واضحاً وذراع باكية عليها بُرْنُس (٢)

تبكي عليك ، ولستُ لائمَ حرةٍ تأسى عليكَ بعبرةٍ وتَنَفَّسُ (٣)

ـ واختار له ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب قصيدة منها :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرءُ قد يعرف قصد الطريقْ (٤)

حلت ركاب البغي في وائل في رهط جسَّاس ثِقال الوسوق (٥)

يا ايها الجاني على قومه جناية ليس لها بالمطيق ،

ان ركوب البحر ، ما لم يكن ذا مصدر ، من مهلكات الغريق (٦)

***

الى رئيس الناس والمرتجى لعقدة الشدِّ ورتق الفتوق (٧)

من عرفت يوماً مَعَدٌّ له عُليا مَعَدٍّ عند أخذ الحقوق

مضْلعًا بالامر يسمو له في يوم لا ينساغُ حلقٌ بريقْ

سيد سادات اذا ضمهم مُعْظِمُ امر (٨) يوم بؤس وضيق

لم يك كالسيد في قومه بل ملكٌ دين له بالحقوق

١) بحثوا في الامور . ولو كنت انت موجوداً لسكتوا هم وكان الرأي لك وحدك. ٢) واضح: ابيض . برنس : ثوب ٣) تنفس : تتنفس ، تكثر التنفس تفريجا لحزنها ٤) قصد الطريق : الطريق القويم ، وجه الصواب ٥) الوسق : الحمل ٦) اذا ركب الانسان البحر من غير ان يعرف الساحل الذي سينزل عليه فذلك من اسباب هلاكه في البحر وغرقه . ٧) رتق الفتوق : الاصلاح بين المتخاصمين ٨) حادث عظيم ، مصيبة .

ان نحن لم نثأر به فاشحذوا   شِفارَكم منا لحز الحلوق
اصبح ما بين بني وائل   منقَطِعَ الحبل بعيدَ الصديق

ومن مراثي مهلهل المشهورة في اخيه كليب :

أهاجَ قذاء عيني الادّكارُ   هدوءاً (١) فالدموع لها انحدار
وصار الليلُ مشتَمِلاً علينا   كأنَّ الليلَ ليسَ لهُ نهار
وبتُّ أراقبُ الجوزاءَ حتى   تقاربَ مِن اوائلها انحدار (٢)
اقلِّبُ مقلتي في إثر قومٍ   تباينت البلادُ بهم فغاروا .
دعوتك يا كليبُ فلم تجبني   وكيفَ يُجيبُني البلد القِفَار
اجبْني يا كليب خلاكَ ذمٌّ ، (٣)   لقد فُجِعَتْ بفارسها نزار
وانكَ كنت تحلُمُ عن رجال   وتعفو عنهمُ ولكَ اقتدارُ .
فلا تَبْعَدْ فكل سوف يلقى   شعوباً يستدير بها المَدار . (٤)
يعيشُ المرء عند بني ابيه   ويوشك ان يصير بحيث صاروا .
كأني اذ نعى الناعي كليباً   تطاير بين جَنبيَّ الشَّرار .
فدرتُ وقد عَشِي بصري عليه   كما دارت بشاربها العُقارُ (٥)

* * *

مما تقدم من المختارات نرى ان رثاء المهلهل ليس من النمط العالي في الشعر ، وليس فيه تلك العاطفة العميقة التي تجعل منه رثاء يصلح ان يقوله اخ في اخيه . ثم

---

١) الادكار : التذكر . هدوءاً : عند هدأة الليل ، اول الليل ٢) اقترب غيابها . ٣) تنزهت عن كل شيء فيه ذم او عيب ، خلوت من كل عيب . ٤) لا تبعد : تعبير يقال للميت ، لا تذهب عنا . شعوب : الموت . ٥) عشي بصري : ضعف . العقار : الخمر

ان بناء شعر المهلهل عموماً ليس بناء متيناً .

وفيما يلي نماذج يسيرة من الرثاء الجاهلي والمخضرم ترى فيه شبوب العاطفة وصدق القول وشرف المعاني ومتانة التركيب :

ب - الخنساء

هي تُماضِر بنت عمرو الشريد من بني سُليم ، والخنساء لقب لها . وكان بنو سُليم يسكنون ما بين شمالي الحجاز ونجد . وقد خطبها دريد بن الصِمة ، وكان شيخاً كبيراً فردته اذ آثرت ان تتزوج في قومها . وكان زوج الخنساء متلافاً فاتلف مالها ، فلجأت الى اخيها صخر فشاطرها ماله .

ثم قتل اخواها معاوية وصخر في الجاهلية فحزنت عليهما حزناً شديداً واخذت برثائهما .

ولما جاء الاسلام وفدت على الرسول في نفر من قومها وأنشدته من شعرها ثم اسلمت بين يديه .

ولقد كان للخنساء اربعة بنين ،فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيها الاربعة وحضتهم على القتال ونصرة الاسلام فخاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعهم ، فلما جاءها النعيّ بمصرعهم لم تزد على ان قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وتوفيت الخنساء سنة ٤٢ للهجرة (٦٦٣ م) .

شعرها

الخنساء اعظم شواعر العرب على الاطلاق وشعرها متين السبك حلو الديباجة فياض العاطفة . ولقد استفرغت الخنساء جهدها في رثاء اخويها معاوية وصخر ولم ينهه الاسلام من دمعها عليهما . ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة - ولها من العمر خمسين عاما - قال لها عمر وقد رأى شدة حزنها عليهما : لماذا تحزنين عليهما وهما في النار ؟ فقالت ذلك ادعى لحزني عليهما ، لقد كنت من قبل ابكي لهم من الثار وانا اليوم ابكي لهما من النار .

ومع ان للخنساء شيئاً من الفخر فان رثاءها اشهر ، من ذلك قولها :

أعينيَّ جودا ولا تجمُدا ، ألا تبكيان لصخرِ النَّدى؟
ألا تبكيان الجريءَ الجميل الا تبكيان الفتى السيدا!
رفيعَ العماد طويل النجا د ساد عشيرته امردا .
إذا القوم مدوا بايديهمو الى المجد ، مد إليه يدا
فنال الذي فوق ايديهمو من المجد ثم انتمى مُصعِدا(١).
يحمِّله القوم ما عالهم وان كان اصغرهم مولدا .
وان ذُكِرَ المجد ألفيته تأزَّرَ بالمجد ثم ارتدى .

وقالت فيه ايضاً :

أَلا يا صخر ان ابكيت عيني لقد اضحكتني زمناً طويلا .
دفعت بك الخطوب وانت حي ، فمَن ذا يدفع الخطب الجليلا(٢)
اذا قُبِّح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا .

ومن رثائها المشهور :

يذكِّرني طلوعَ الشمس صخرٌ واندبه لكل غروب شمسِ .
ولولا كثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي .
وما يبكون مثلَ اخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي .
فلا والله لا انساكَ حتى أفارقَ مهجتي وأزور رمسي .
فقد ودعت ، يوم فراق صخرٍ ابي حسانَ ، لذاتي وأُنسي .
فيا لهفي عليه ولهفَ امي : أيصبح في الضريح وفيه يمسي؟

١)ارتفع موغلا في العلو . ٢) الخطوب : المصائب . الخطب الجليل : الموت

جـ — دريد بن الصمة

دريد بن الصِمة من سادات هوازن وفرسانهم، ادرك الاسلام فلم يسلم . واتفق ان غزا قومُه بني غطفان فاخرجوه معهم ليستفيدوا من رأيه لانه كان قد شاخ في ذلك الحين . وظفرت هوازن بغطفان فانسحبت غطفان استدراجا لبني هوازن فتبعهم بنو هوازن. عندئذ نصح دريد لقومه بان القوم يكيدون لهم فلم يسمعوا منه بل تبعوهم . فارتدت غطفان على هوازن وهزمتهم. وكان في القوم أخوَان لدريد: عارض وعبدالله ، فقتل عبدالله في المعركة ، فقال دريد يرثيه :

نصحت لعارضٍ واصحاب عارض ... ورهطِ بني السوداء والقومُ شُهَّدي (١)

فقلت لهم ظنوا بألفَيْ مُدَجّج ... سَراتهمو في الفارسي المسرّد (٢)

فلما عَصَوني كنت فيهم وقد ارى ... غوايتهم وانني غير مهتد .

امرتهمو امري بمنعرج اللِوى (٣) ... فلم يستَبينوا النصح الا ضحى الغد .

وهل انا الا غَزِيَّةَ ان غوت ... غَوَيتُ وان ترشُدْ غزية أَرْشُد . (٤)

تَنادَوا فقالوا : أردتِ الخيل فارساً ... فقلت : أعبدُالله ذلكم الردي؟ (٥)

فجئتُ اليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدد (٦)

فطاعنت عنه الخيل حتى تنَفست ... وحتى علاني حالك اللون اسودي (٧)

---

١) نصحت للذاهبين الى الحرب الا يفعلوا ٢) السراة : الوجهاء ، سادة القوم . الفارسي المسرد: الدروع المنسوجة - نسجاً جيداً — ان اعداءكم الفا رجل كاملو عدة الحرب ، اكثر منكم عدداً وسلاحا ٣) منعرج اللوي : مستدار الرمل ، اسم مكان — لما وصلنا الى ذلك المكان قبل ان ندخل المعركة امرتهم بالرجوع فلم يعرفوا صواب رأيي الا في اليوم التالي بعد ان هزموا في المعركة .
٤) انا من قومي لا اعصيهم فان ضلوا ضلات معهم وان اهتدوا اهتديت معهم ٥) أردى : قتل ، اهلك . الردي : القتيل . ٦) تنوشه : تمزقه . الصياصي جمع صيصة : « المكوك » — كانت الرماح تمزقه بكثرة وبسرعة ٧) تنفست : تفرقت . الاسودي : الاسود . حالك اللون اسودي : غبار الحرب.

قتالَ أمرئ آسى أخاه بنفسه ... ويعلم ان المرء غير مخلَّدِ. (١)

فان يكُ عبدالله خلَّى مكانه ... فما كان وقّافاً ولا طائش اليد (٢)

قليلُ التَّشكى للمصيبات حافظٌ ... من اليوم أعقاب الاحاديث في غد (٣)

وطيَّب نفسي أنني لم اقل له : ... كَذَبتَ ولم ابخل بما ملكت يدي (٤)

د - لبيد بن ربيعة

وكان للبيد اخ اسمه أربد جاء في وفد من قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينوي قتله ، ولكنه لم يستطع فرجع ولم يفعل شيئاً . الا انه كان دائماً يتوعد الرسول . وفي بعض الايام خرج أربد لبعض شأنه فأصابته صاعقة فاحرقته ، فقال لبيد يرثيه ، لما وصل اليه الخبر المحزن :

لعمري لئن كان المخبِّرُ صادقـاً ... لقد رُزئت في حادث الدهر جعفرُ (٥)

اخا ليَ أما كلُّ شيء سألته ... فيعطي واما كلُّ ذنب فيغفر (٦)

فان يك نوءٌ من سحاب أصابهُ ... لقد كان يعلو في اللقاء ويظفَرَ (٧)

وللبيد قصيدة فيها رثاء لاخيه اربد وفيها حكمة ، منها :

بَلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ ... وتبقى الديار بعدنا والمصانع (٨)

وقد كنت في اكنَاف جار مَضنَّةٍ ... ففارقني جار بأَرْبَدَ نافع (٩)

فلا جَزَعٌ إن فرَّق الدهر بينَنَا ... فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع

وما النَّاس إلا كالديار واهلها ... بها يوم خلَّوْها وراحوا بلاقعُ (١٠)

---

١) لم اكن ارهب الموت لان الموت لابد منه . قاتلت عنه قتالا صادقا لانه اخي وهو كنفسي . ٢) طائش اليد : الذي لا يصيب الهدف،قليل العلم بالحرب ٣) كان صبوراً قليل الشكوى وكان لا يأتي اليوم عملاً يمكن ان يلام عليه غداً ٤) انا مطمئن ولومات اخي،لاني لم اخذله في الحرب ولانني دافعت عنه بقدر استطاعتي ٥ و ٦) جعفر بنو جعفر، قوم لبيد. جعفر نائب فاعل. اخاً مفعول به ثان ٧) النوء : الحوادث الجوية ،المطر الصواعق ... اللقاء : الحرب ، القتال . ٨) نحن نفنى ولكن النجوم خالدة بعدنا والارض والمباني ٩) كان اربد جاراً « شريكا في الحياة » اضن به ١٠) بلاقع : خراب .

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد اذ هو ساطع (١)

وما المال والاهلون الا ودائعٌ ... ولا بدَّ يوماً ان تُرَدَّ الودائع

وما النَّاسُ الا عاملان : فعامل ... يُتبّر ما يبني وآخرُ رافع (٢)

فمنهم سعيدٌ آخذ بنصيبه ... ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع (٣)

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع (٤)

و — متمم بن نويرة

كان مُتَمّم من بني تميم وهو شاعر مخضرم . ولقد اتفق ان قُتل اخوه مالك في حروب الردة في ايام ابي بكر ، في حديث طويل ، فحزن عليه ورثاه رثاء رقيقا بليغاً :

لعمري ، وما دهري بتأبين مالكٍ ... ولا جَزَعٍ مما أصاب فأوجعا (٥)

لقد كفَّن المنهالُ تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيَّات اروعا (٦)

لبيباً أعان اللُّبَّ منه سماحةٌ ... خصيباً اذا ما راكب الجدب اوضعا (٧)

أغرّ كنَصْلِ السيف يهتزّ للنَّدى ... اذا لم يجد عند امرىء السوء مطمعا (٨)

فعينيَ جودي بالدموع لمالك ... اذا أردتِ الريح الكنيف المربعا (٩)

---

١) يكون الشهاب «النيزك» مضيئاً جداً وهو ساقط في طبقات الهواء ، ثم يحترق ويتلاشى ، وكذلك الانسان يكون حيا ثم يموت ٢) يتبر : يهدم ، يدمر . رافع: بانٍ «من يبني» ٣) بالمعيشة قانع: خامل يكتفي من الحياة بان يأكل ويشرب وينام ٤) الطرق بالحصا وزجر الطير من اعمال استطلاع المستقبل . ان هذا كله لا يدل على المستقبل والله لم يهب علم الغيب لاحد من خلقه .

٥) لا اريد تأبين اخي مالك ولا انني جزعت من المصاب الذي اوجعني « ? » ٦) المنهال : اسم رجل مر بمالك وهو قتيل فخلع ثوبه والقاه على مالك . غير مبطان العشيات : قليل الطعام في المساء اروع : جميل ٧) اضاف الى حسن فضله كرما . راكب الجدب: الذي يأتي من بلاد مجدبة . أوضع: اناخ ناقته . ٨) اذا جاءه احد من بلاد مجدبة وجد عنه ارزاقاً كثيرة ووجده كريما ، اذا بخل غيره .
٩) اذا قلعت الريح البيت المربع « المبني بالحجارة ؟» — في الشتاء حين يقل الطعام وتكثر الحاجة .

فتى كان مِخذاما الى الروع ركضُه … سريعاً الى الداعي اذا هو فُزّعا (١)

وما كان وقّافاً اذا الخيل احجمت … ولا طائشاً عند اللقاء مروّعا (٢)

أبى الصبرَ آياتٌ اراها وانني … أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا (٣)

واني متى ما ادعُ باسمك لا تُجِبْ … وكنتَ حرِيّاً ان تجيب وتسمعا (٤)

سقى الله أَرضاً حلها قبرُ مالك … ذِهابُ الغوادي المدجناتِ فامرعا (٥)

فوالله ما أسقي البلاد لحبها … ولكنّني أسقي الحبيب المودَّعا (٦)

تحيته مني وان كان نائياً … وامسى تراباً فوقه الارضُ بَلقعا (٧)

فان تكن الايام فرّقنَ بيننا … لقد بان محموداً اخي يوم ودّعا (٨)

وعشنا بخير في الحياة وقبلَنا … اصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعا (٩)

وكنّا كندمانَيْ جذيمة حِقبةً … من الدهر حتى قيل لن يتصدعا (١٠)

فلما تفرّقنا كأني ومالكاً … لطول اجتماع لم نبتْ ليلةً معا .

---

١) كان سريع الركض الى الحروب وسريعا اذا دعاه أحد نزلت به مصيبة .
٢) اذا تراجعت الخيل خوفاً من هول الحرب لم يقف هو بل اقدم . واذا حارب احسن اصابة الاعداء ولم تخفه الحرب ٣) الآيات: العلامات - الذي جعلني آسي عليك علامات من الخير «الشجاعة الكرم الخ» كنت اراها فيك وعلمي ان لاثقة بعدك باحد ٤) وانني الآن ادعوك فلا تجيب «لانك ميت» وكان خليقا بك ان تجيب «لاننا نحن لا نزال بحاجة اليك» ٥) ذهاب جمع ذهبة : السحاب. الغوادي : التي تأتي باكراً . مدجنة : سوداء لكثرة ما فيها من الماء ٦) اسقي : اطلب السقيا . ٧) تلك تحيته مني وان كان قد اصبح بعيداً عني ، وصار عليه تراب ، وامست الارض حوله قاحلة لا شي. فيها ٨) لقد مات اخي يوم مات والناس كلهم يمدحونه ٩) رهط كسرى وتبع : اصحاب ملوك فارس وملوك اليمن . ١٠) ندمان : نديم . نديما جذيمة الابرش اول ملوك الحيرة كانا مالكا وعقيلا ابني فارج بن كعب جعلهما جذيمة نديمين له لانهما ردا عليه ابن اخت له فحكمهما في ما يريدان منه فطلبا ان يكونا نديمين له . ثم قتلهما في حديث طويل .

فتىً كانَ أحيا من فتاةٍ حييّةٍ   وأشجعَ من ليثٍ إذا ما تمنّعا (١)

وحسْبُكَ أني قد جهِدتُ فلم أجد   بكفّيَ عنه للمنيّةِ مدفعا (٢)

وقد غالني ما غالَ قيساً ومالكاً   وعمراً وجزْءاً بالمشقّرِ اجمعا (٣)

ولو أن ما ألقى اصابَ مُتالعاً   او الرُّكنَ من سلمى اذاً لتضعضعا (٤)

د — ابو ذؤيب الهذلي

ابو ذُؤيب الهُذَلي شاعر مُخَضرَم توفي في ايام عثمان بن عفان في طريقه الى مصر. وقد كان له خمسة بنين هلكوا في عام واحد، اصابهم الطاعون. فقال يرثيهم:

أمِنَ المنون وريبها تتوجّعُ ؟   والدهر ليس بمُعتِبٍ من يجزعُ (٥)

قالت أُميمةُ : ما لجسمِكَ شاحباً   منذ ابتُذِلتَ ومثل مالك ينفعُ (٦)

ام ما لجسمِكَ لا يلائم مضجعاً   إلا أقضَّ عليك ذاكَ المضجع ؟ (٧)

فأجبْتُها : أما لجسمي إنه   أودى بَنيَّ من البلاد فودّعوا (٨)

أودى بَنيّ وأعقبوني حسرةً   بعد الرُّقادِ وعبرةً ما تُقلع (٩)

سبقوا هوَيَّ واعنقوا لهواهمُ   فتُخُرِّموا ولكل جنب مصرع (١٠)

---

١) تمنّع : امتنع من العدو ، دافع عن نفسه ٢) لقد حاولت جهدي ان ارد الموت عنه فلم أقدر ٣) غالني : اصابني « اي الموت » . المشقر : يوم من ايام العرب ، معركة . اي اصابني في اخي مالك ما اصاب هؤلاء . اجمع:جميعاً . وفي رواية : ألما ، اي ذهب بهم ٤) متالع : جبل . سلمى : جبل — لو ان الذي اصابني في اخي مالك اصاب جبلي متالع وسلمى لانهدا كلاهما .

٥) المنون : الدهر ، الموت . اعتب : ارضى— الموت لا يهتم بمن يحزن على هالك له ٦) ابتذل: امتهن نفسه في العمل والسفر — كان بنوك يكفونك امر العيش ، واراك بعدهم تعمل فهزل جسمك مع ان لك مالا يغنيك عن العمل للكسب ٧) اصبحت لا تستطيع النوم على فراش ٨) اما : اما الذي . اودى : هلك ٩) عبرة ما تقلع : دمع لا يجف ابداً ١٠) هوي . هواي « ماتوا قبلي وكنت اود ان اموت قبلهم » . تخرمهم الموت : اخذهم واحداً واحداً.

فغبرت بعدهم بعيشٍ ناصبٍ ... وإخالُ أني لاحقٌ مُستتبِعُ (١)

ولقد حرصتُ بأن ادافع عنهمُ ... وإذا المنيّة أقبلَتْ لا تُدفع

وإذا المنية أنشبَتْ أظفارَها ... ألفيْتَ كلَّ تميمةٍ (٢) لا تنفع

فالعين بعدهمو كأنَّ حِداقها ... سُمِلَت بشوكٍ فهي عورٌ تدمع (٣)

حتى كأني للحوادث مَروَةٌ ... بصفا المشَّرِ كُلَّ يوم تُقرَع (٤)

وتجلّدي للشامتين أُريهمُ ... أني لريب الدهر لا أتضعضَع

لا بد من تلفٍ مُقيمٍ فانتظرْ ... أبأرض قومك ام بأُخرى المَضجَع

ولقد أرى ان البكاء سَفاهةٌ ... ولسوف يُولَعُ بالبكا من يُفجَع (٥)

وليأتينَّ عليك يومٌ مرةً ... يُبكى عليك مُقنَّعاً (٦) لا تسمع

والنفسُ راغبةٌ اذا رغّبتها ... وإذا تُرَدُّ الى قليل تقنع .

كم من جميعي الشمل ملتئمي الهوى ... كانوا بعيشٍ واحدٍ فتصدعوا

فلئنْ بهم فجع الزمانُ وريبُه ... إني باهل مودتي لمُفَجَّع .

بعدئذ يمضي ابو ذؤيب فيضرب امثلة على ان الموت لا يبقي على احد : الثور النشيط الذي يرتع مع شاته (زوجته) في روضة غناء ، يجف ماء الروضة وعشبها ثم يجيء قانص فيرمنيهما فيقتلهما . وكذلك الفارسان يتنازلان في حومة الوغي :

---

١) غبر : بقي ، ناصب : متعب

٢) حجاب ، حرز ٣) حداق جمع ، حدقة : موضع النظر من العين . سملت : فقئت . عور جمع اعور وعوراء : مصابة بأذى ٤) مروة : صخرة . ويروى : بصفا المشرق — كأني صخرة في السوق « صفا المشقر » يمر الناس عليها دائماً . والمشقر ايضا جبل لهذيل . ولعله يعني صخرة المشقر عند مكة وهي للتي ترجم في مواسم الحج ، يمر بها كل حاج فيقذفها بسبع حجارة صغار ٥) لا فائدة فيه من البكاء ولكن سيظل الناس يبكون كلما فجعوا .

٦) على وجهك قناع : ميت .

فتنازلا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مُخدَّع (١)

يتحاميان المجدَ كل واثقٍ ببلائه فاليوم يومٌ أشنَع (٢)

فكلاهما متوشّحٌ ذا رَوْنَقٍ عضباً إذا مسَّ الضريبة يَقْطَع (٣)

وكلاهما في كَفِّهِ يَزَنيَّةٌ (٤) فيها سِنانٌ كالمنارةِ أصلَع

وعليهما مَسْرودَتان قضاهما داوود او صَنَعُ السَّوابغ تُبَّع (٥)

فتخالسا نَفْسَيهما بنوافذٍ كَنوافذِ العُبُطِ التي لا تُرقَع (٦)

وكلاهما قد عاش عِيشَةَ ماجِدٍ وجَني العُلى لو ان شيْئاً ينفع

عَفَتْ ذيولُ الريحِ بعدُ عليهما والدهرُ يَحصُدُ ريبُه ما يزرع (٧)

---

١) اللقاء : القتال . مخدع : مجرب في الحرب — فتنازلا مدة طويلة لا يتغلب احدهما على الآخر.
٢) بلائه : بقدرته وشجاعته . أشنع : كريه. كل واحد منهما يحاول ان يدافع عن مجده وشهرته.
٣) ذو رونق : سيف براق ماضٍ . عضب: قاطع . الضريبة : ما يقع عليه السيف ٤) رمح .
٥) مسرودة : درع . قضاهما : صنعها . داوود كان مشهوراً بصنع الدروع او بما عنده من دروع جيدة . الصنع : الحاذق . السوابغ : الدروع . تبع : لقب لملوك اليمن . اي دروع جيدة كأنما صنعت لداوود او لتبع ٦) النافذة : الطعنة التي تنفذ من جانب في الجسد الى جانب آخر . العبط جمع عبيط : « كثرت ثقوبها فلا يمكن رقعها » ٧) محت الريح مكان موتهما « غطتهما بالرمال » . ريبه : حوادثه .

٥ – الهجاء

الهجاء هو سلب الصفات الحميدة عن الخصم ونسبة ضدها له . والهجاء اما ان يتناول شخصاً واحداً او ان يتناول مجموعاً من الاشخاص . اما الهجاء الشخصي فكان نادراً في الجاهلية ، اذ كان اكثر الهجاء هجاء قبليا يتناول القبيلة التي ينتسب اليها الخصم .

ثم ان الهجاء كان يتناول الصفات الخُلُقية المذمومة كالبخل والجبن والسوء والتقاعس عن النجدة وعن قِرى الضيوف — لقد كان الهجاء ضد الفخر . على انه ربما تعرض الهاجي للعيوب الجسدية . وكان الهجاء ، كيفما دارت به الحال ، مكروهاً في الجاهلية ، قال أرطاة بن سُهيّة المُرّي :

تمنت — وذاكم من سفاهة رأيها — لأهجوها ، لما هجتني محاربُ .
معاذَ الإلهِ ، إنني بقبيلتي ونفسي عن ذاك المقام لراغبُ !

وقل ان جاء الهجاء الشخصي خالياً من التعريض بالقبيلة، لأن الفرد في الجاهلية كانت قيمته مستمدة من قيمة قبيلته ، قال خارجة بن ضرار المري :

أخالدُ ، هلاّ إذ سَفِهتَ عَشيرةٌ كففتَ لسانَ السوءِ ان يتدعّرا(١) .
وهل كنتَ إلا حَوتكياً ألاقَهُ بنو عمِّه حتى بَغَى وتجبّرا(٢) ؟
فإنك واستِبضاعَك الشعرَ نحونا كمستبضِعٍ تمراً الى ارض خَيبرا(٣)

ومن الهجاء الشخصي المر قول النابغة يهجو عامر بن الطفيل بعد ان هجا عامر هذا بني ذبيان . قال النابغة :

فان يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فانّ مَطيّةَ الجهلِ الشبابُ(٤) .

---

١) الدعر : السفه والخبث — الا يكفي ان تكون عشيرتك سفيهة حتى يسفه لسانك ايضا .
٢) الحوتكي : القصير . الاقه (فعل ماضي) : امسكه ، ساعده — كنت ضعيفا فلما نصرك بنو عمك قويت فبغيت . ٣) خيبر منطقة قرب المدينة يكثر فيها التمر . ٤) في رواية : مظنة الجهل «مكانه» — انك لاتزال شاباً جاهلا .

فكن كأَبيك او كأبي بَرَاءٍ توافقْك الحكومة والصواب (١).

فلا يذهبْ بلبّك طاميات من الخُيَلاء ليس لهن باب (٢).

فإنك سوف تحلُمُ او تَناهى اذا ما شِبْتَ او شاب الغراب (٣)!

« فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقّ عليه (٤) وقال : ما هجاني احـــد حتى هجاني النابغة : جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيها جاهلا وتهكم بي »(٥).

اما الهجاء القَبَلي او الهجـاء القومي « ويمكن ان يسمى ايضا الهجاء السياسي لانه يتناول سياسة الاحزاب المختلفة ويبنى على العصبية » فهو كثير بالاضافة الى الهجاء الشخصي . ومن أشهر ما ورد من ذلك في الجاهلية قول النابغة :

نُبِئْتُ زُرْعَةَ والسفاهةُ كاسمها يُهدي إليَّ غرائب الاشعار.

وسترد هذه القصيدة مع قصتها في دراسة النابغة .

---

١) ابو براء عم عامر بن الطفيل كان يسمى ملاعب الاسنة ، وكان سيداً حكيما — ابوك وعمك سيدان شريفان حكيمان وانت سفيه خاطىء الرأي . ٢) طاميات : مرتفعات . اللب : العقل . الخيلاء : العجب والتكبر . — لاتدع عجبك بنفسك يعظم حتى يذهب بعقلك . ٣) سوف تصبح عاقلا حكيما او ينتهي جهلك على الاقل اذا شبت او اذا شاب الغراب « لن تصبح حكيما ، لان الغراب لا يشيب » . ٤) صعب عليه ، اساء اليه . ٥) العمدة ٢ : ١٦٤

٦ — الغزل والنسيب

الغزل وصف اعضاء المرأة الظاهرة كسواد شعرها وحمرة خديها واعتدال قوامها . اما النسيب فهو التشوق للمرأة والشكوى من البعاد (١) . وكان الغزل والنسيب في الجاهلية يدوران حول المرأة ويجريان في لفظ مؤنث ايضا . ولقد اتفق ان طرفة بن العبد تغزل بانثى ولكن في لفظ مذكر فقال :

وفي الحي احوى ينفض المرْد شادن مظاهرُ سِمْطي لؤلوءٍ وزبرجد

الا ان هذا نادر ، والمقصود به انثى لا شك في ذلك .

وقلما جاء الغزل والنسيب وذكر اللهو مع النساء الا معا . واحسن ما يمثل ذلك في الشعر الجاهلي وارقه واجمعه قول المرار بن المنقذ العدوى في قصيدته التي مطلعها :

عجبٌ خولةُ إذ تُنكرني ام ترى خولة شيخا قد كَبِرْ (٢)

فهو يقول فيها :

ما انا اليومَ على شيءٍ مضى يا ابنة العم، تولّى بِحَسِرْ (٣)

قد لبست الدهر من افنانه كلَّ لونٍ حَسَنٍ منه حَبِرْ (٤)

وتعللتُ وبالي ناعمٌ بغزالٍ احورِ العينين غِرْ (٥)

هل عَرَفت الدار ام انكرتها بين تِبراكٍ فشَسَّي عَبَقُرْ

قد نرى البيض بها مثل الدمى لم يَخُنهن زمانٌ مقشعر (٦)

---

١) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « ابو نواس » الدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٠ وما بعدها ٢) تنكرني : تتجاهلني ٣) انا لست حزينا على شيء مضى من عمري ٤) قد عرفت جميع ضروب الحياة وتمتعت باحسنها ٥) وتمتعت كثيراً وبالي هادىء بفتاة سوداء العينين غريرة منجبة بنفسها غير مجربة « صغيرة السن » ٦) البيض : النساء . الدمي : اللعب، التماثيل « الجميلة » . لم يخنهن زمان مقشعر : لم يرمهن الدهر بالشيخوخة ولا بالمصائب .

يتلهّينَ بنَوْمات الضحى راجحات الحِلم والأُنس خُفُرْ (١)

قُطُفُ المشي قريبات الخطى بُدَّنا مثل الغمام المُزْمَخِر (٢)

يتزاورنَ كتقطاء القطا وطعِمْنَ العيش حلواً غيرَ مر (٣)

لم يطاوعن بصُرم عاذلاً كاد من شدَّة لوم يَنْتحِر (٤)

وهوى القلب الذي اعجبه صورةٌ احسنُ من لاث الخُمُرْ (٥)

راقه منها بياض ناصع يُونِق العينَ وضاف مسبكر (٦)

واذا تضحك ابدى ضِحكها أقحوانًا قيدته ذا أُشُر (٧)

لو تطعمّت به شبهته عسلاً ، شِيب به ثلج ، خَصِر (٨)

صَلتة الخد طويل جيدُها ناهد الثدي ولما ينكسر (٩)

فهي هيفاء هضيم كشحَها فخمة حيث يُشَدُّ المؤتزر (١٠)

تطأ الخز ولا تكرمه وتطيل الذيل منه وتجُر (١١)

عَبَقَ العنبرُ والمسكُ بها فهي صفراء كعُرجون العُمُرْ (١٢)

---

١) هن منعمات ينمن حتى ترتفع الشمس ، يؤنسن الصديق ولهن رجاحة عقل مع حياء كثير .
٢) قطف المشي : هادئات المشي . بدن : سمان. المزمخر : المرتفع ، واذا ارتفع الغمام رق وابيض .
٣) تقطاء: مشي القطاة «نوع من الطير»، مشي قصير الخطوات. طعمن: ذقن ٤) نهاهن العاذل عن الحب فلمنه لوماً شديداً حتى كاد ينتحر ٥) هي اجمل من لبس خماراً ٦) يونق : يعجب . ضاف مسبكر : شعر واف طويل ٧) اقحوان : اسنان . قيدته : حزته بابرة ثم وضعت عليه اثمداً «كحلا» ليحلك لونه، فعلت ذلك بلثتها في الاغلب ٨) تطعمت بـــه : ذقته . شيب : مزج . خصر : بارد. ٩) صلتة الخد : منجرده الخد ، خدها أملس غير مترهل . ناهد : مرتفع . لم ينكسر ثديها بعد لانها صغيرة السن.
١٠) هيفاء : ضامرة . هضيم كشحها : خصرها نحيف . فخمة حيث يشد المؤتزر : ضخمة الاوراك .
١١) غنية مترفة تجعل الخز « الحرير » موطئا لها « فرشاً لارض بيتها ». واذا لبست حريراً جعلته طويل الذيل. ١٢) عرجون العمر : قرط بلح السكر ، لونه اصفرجيل ،والعرب تحب اللون الممزوج بصفرة.

إنما النوم عِشاءً طَفَلاً سِنَةٌ تأخذها مثلَ السُكُر (١)

والضحى تغلِبها رقدتُها خَرَقَ الجُؤذرِ في اليوم الخدر (٢)

وهي لو يُعصر من اردانها عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصر

املح الخلق إذا جَرَّدتها غير سِمطين عليها وسُؤُرْ (٣)

لحسِبْتَ الشمس في جِلبابها قد تبدَّت من غَمام منسفر

صورة الشمس على صورتها كلما تغرب شمس او تَذُر (٤)

تركتني ليس بالحيِّ ولا مَيِّتٍ لاقى وفاةً فقُبر

يسأل الناسُ ، أحُمّى داؤه ام به كان سُلال مستسر ؟ (٥)

وهي دائي ، وشفائي عندها منعته فهو مَلويٌّ عَسِرْ (٦)

ولم يكن في نفس الجاهلي رهبة حِيال المرأة فلَّما الرجل بها وذكر ذلك في شعره تلميحا وتصريحا . والذين ذكروا لهوهم بالمرأة صراحة كثار : امرؤالقيس وطرفة وعمرو بن كلثوم والاعشى وبشامةبن عمرو وسويدبن ابي كاهل اليشكري والمرار بن المنقذ العدوي الذي مرت بنا ابياته .

الاعشى

الاعشى ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل من بني بكر بن وائل ، كان من فحول الشعراء في الجاهلية ومن شعراء المعلقات . وقد نسبت اليه معلقتان . وكان الاعشى كثير الاسفار في بلاد العرب يمدح امراءها وسراتها ويتكسب منهم . وفي سنة ٨ للهجرة مدح الاعشى محمداً صلى الله عليه وسلم واراد ان يذهب اليه ليسلم .

---

١) الطفل : الاصيل ، وقت العصر . سنة : نوم ٢) في رواية : وقدتها «حرها» خرق الجؤذر : كخمول الجؤذر «الظبي الصغير» في اليوم الخدِرِ « البارد » . ٣) السمط : العقد . السؤر جمع سوار ٤) ذرت الشمس : اشرقت ٥) السلال : السل . مستسر : مختف ٦) ملوي : ممطول ، اي أسألها دواءً لدائي فتمدني ولكن لا تفي .

ولكن ناقته رمت به في اثناء الطريق فقتل . اما القصيدة فمطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة ارمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهدا (١)

ومنها يذكر ناقته ثم ينتقل الى ذكر محمد رسول الله :

فآليت لا ارثي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تزور محمدا (٢).

نبيّ يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وانجدا (٣).

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم ... تُراحي وتَلْقَيْ من فواضله يدا (٤).

له صدقات ما تغبّ ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا (٥).

واشتهر الاعشى بالمديح وبالغزل والخمر ، حتى قيل اشعر الناس ... الاعشى اذا طرب . فمن شعره في اللهو والغزل الصريح ما جاء في احدى معلقتيه :

صدت هُريرةُ عنا ما تكلمنا ... جهلاً بأم خُليد حبلَ من تَصِلُ .

قالت هريرةُ لما جئت زائرَها : ... ويلي عليك وويلي منك يا رجلُ .

وقد أخالس رَبَّ البيت غفلته ، ... وقد يُحاذر مني ثم لا يئِلُ (٦).

وقد أقود الصبى يوماً فيتبعني ، ... وقد يصاحبني ذو الشِرة الغَزِلِ (٧).

ومن قوله في الغزل الصريح :

عهدي بها في الحي قد سُربلت ... هيفاء مثل المُهرة الضامر (٨).

قد نَهَدَ الثديُ على نحرها ... في مشرقٍ ذي صَبَحٍ نائر (٩).

---

١) ليلة ارمدا : كليلة رمدت فيها عيناك « اصابهما الرمد : المرض » . عادك : رجع اليك مرة بعد مرة . السليم : اللديغ ، الذي لدغته الحية ، سمي سليما تفاؤلا بسلامته .

٢) آلى : اقسم : رثى : اشفق . كلالة : تعب . حفى : السير بلا حذاء : كناية عن الالم من كثرة المشي ٣) اغار : وصل الى الغور ، الوادي . انجد : وصل الى النجد ، المكان المرتفع .

٤) ناخت الناقة : بركت – اذا وصلت الى باب محمد استرحت ونلت من كرمه

٥) تغب : تأتي يوماً بعد يوم . – عطاياه لا تنقطع ٦) يئل : ينجو ، لا يستفيد من حذره

٧) الشرة : نشاط الشباب ٨) هيفاء: ضامرة، نحيلة ٩) نهد : ارتفع. الصبح : لون الحلي – ان بياض صدرها مشوب بحمرة وذلك من الجمال عند العرب. نائر : نير ، منير.

حتي يقول الناس، مما رأوا : يا عجباً للميّتِ الناشر (١).

وللاعشى شعر في اللهو بالنساء بادي الصراحة بعيد في المغامرة وفي الخروج عن اللهو الى الاستهتار :

رَحَلَت سُمَية غدوةً أجمالَها غضبى عليك، فما تقول بدا لها ؟ (٢)

سفهاً وما تدري سميّة ويْحَها أنْ رُبّ غانية صرمت حبالها (٣)

ومصاب غادية كأنَّ تِجارها نشرت عليه بُرودها ورِحالها (٤)

قد بتُّ رائدها وشاةِ محاذرٍ حذراً يُقِل بعينه أغفالها (٥)

فظللت أرعاها وظل يحوطها حتى دنوت إذا الظلام دنا لها .

فرميْت غفلة عينه(٦) عن شاته فأصبت حبَّة قلبها وطِحالها .

حفِظ النهار وبات عنها غافلاً (٧) فخلت لصاحب لذة وخلا لها .

---

١) الناشر : المنشور ، الذي ينهض من القبر ٢) رحلت اجمالها : ساقت جمالها وسافرت . ما بدا لها : ما غيرها عن حالها الاولى ؟ ٣) هذا قلة عقل منها . الا تدري كم من فتاة جميلة انا هجرتها ! ٤) مصاب غادية : مكان سقوط المطر من غيمة في الصباح ، نبت نباتها وازهر كأن تجار اليمن فرشوا عليها بضائعهم «المختلفة الالوان» وسروج مطاياهم الجميلة الصنع ٥) قصدت هذا المكان وقصدت امرأة رجل غيور لا تغفل عينه عن حراستها ٦) انتهزت غفلة يسيرة منه . شاة : امرأة ، زوجة ٧) كان يحرسها في النهار ولكن غفل عنها في الليل .

٧ – الخمر

كان القول في الخمر في الجاهلية (١) كثيراً ، على انه كان غرضاً من اغراض القصيدة يرد فيها عَرَضاً ، ولم يكن موضوعاً مقصوداً لذاته . وكان يغلب على الشاعر الجاهلي ، اذا ذكر الخمر ، ان يتمدح بشربها وباسقائها للآخرين ، اي ان شرب الخمر كان مظهراً من مظاهر الغنى والكرم ، لقلتها في الجاهلية وغلاء ثمنها . ولا ريب في انها كانت ايضاً مظهراً من مظاهر اللهو .

اما وصف الخمر في الشعر الجاهلي فجاء منثوراً في القصائد المختلفة ، وقل من الشعراء الجاهليين من لم يصفها ، جعلها عمرو بن كلثوم مطلع معلقته :

ألا هبي بصحنك واصبَحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (٢)

وكذلك ذكرها طرفة بن العبد وعدها من اسباب لهوه ولذته :

ولولا ثلاثٌ هن من لذة الفتى وجدك لم احفِل متى قام عُوَّدي (٣)

ومثله فعل عنترة مفتخراً بانه يشربها ويسقيها لاصحابه :

ولقد شربتُ من المُدامة بعدما ركد الهواجرُ بالمشوف المُعْلَم (٤)

وربما توالت الابيات في الخمر تمهيدا يخرج منه الشاعر الى غرض آخر كما فعل المرقش الاصغر ، فقد وصف الخمر ليتخلص من وصفها الى وصف ريق حبيبته :

وما قهوةٌ صهباء كالمسك ريحُها تُعَلُّ على الناجود طوراً وتُقدَح (٥)

ثوت في سِباء الدّنِ عشرين حِجَّةً يُطان عليها قرمد وتروّح (٦)

سباها رجال من يهودِ تباعدوا لِجيلان يدنيها الى السوق مربح (٧)

---

١) راجع « ابو نواس » للدكتور عمر فروخ ، الجزء الاول ، الطبعة الثالثة ، ص ٥–١٣ ، ١٩ ، م ٢) راجع ص ٣١ . ٣) راجع معلقة طرفة في هذه الدراسة ٤) راجع معلقة عنترة في هذه الدراسة . ٥) صهباء : حمراء اللون . الناجود : وعاء للخمر . تعل : تؤخذ قليلا قليلا . تقدح : تغرف ٦) في سباء الدن : اسيرة في الدن . تروح : تبرد . ٧) اتي بها قوم يهود من جيلان « وراء طبرستان من ارض فارس ، يقصد : من مكان بعيد » ليبيعوها بثمن غال .

ياطيبَ من فيها اذا جئت طارقـاً ... من الليل، بل فوها ألذُّ وانضح (١)

وينسب لعدي بن زيد ابيات جياد في الخمر تخالف سائر شعره في ديباجتها :

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ... ـح، يقولون لي: أما تستفيقُ ؟

ويلومون فيكِ، يا ابنَةَ عبدالله، ... والقلب عندكم موثوقُ (٢).

لست أدري إذْ أكثروا العَذلَ فيها؛ ... أعدوٌّ يلومني ام صديق ؟

وَدَعوْا بالصَّبوح يوماً فقامت ... قَيْنَة في يمينها إبريق (٣).

قدّمته على عُقار كعين الد ... يك صفّى سُلافها الراووق (٤)

مُرّةً قبل مزجها فاذا ما ... مُزِجتْ لذَّ طَعْمَها من يذوق.

وطفا فوقها فقاقيعُ كاليا ... قوت حُمْرٌ يزينها التصفيق (٥).

ثم كان المِزاجَ ماءُ سحابٍ ... لا صدىً آجنٌ ولا مطروق (٦).

***

الاعشى

على ان الشاعر الجاهلي الذي وصف الخمر فأكثر واجاد انما هو ابو بصير ميمون ابن قيس المعروف بالاعشى. اكثر الاعشى من وصف الخمر وأتى في وصفها بالمعاني الجامعة المبتكرة بالنسبة الى عصره مع وصف اثر الخمر في الشاربين ومجالس شربها. ولكن وصف الخمر لم يصبح فنا عند الاعشى قائماً بنفسه كما اتفق لابي نؤاس فيما بعد. فمن جيد قول الاعشى في الخمر :

---

١) طارقا : في الليل . انضح : اصفى ، اطيب والذ ٢) موثوق ، يقصد موثق : مشدود ، مربوط ٣) الصبوح : شرب الخمر صباحاً . القينة : جارية تسقي الخمر وتغني ... ٤) العقار : الخمر السلاف : اجود الخمر . الراووق : المصفاة او خابية توضع فيها الخمر مدة حتى تصفو ويرسب ما فيها من قذي – وضعت الخمر في راووق فجادت ٥) صفق الشراب : سبه من اناء في اناء آخر مرات كثاراً ليصفو ٦) ماء سحاب: مطر . صدى «؟» . آجن : منتن ، فاسد . مطروق : يستقي منه الناس كثيراً ، ولذلك كان عكراً.

وكأس شربت على لذة　　　واخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني أمرؤٌ　　　أتيتُ المعيشة من بابها
وشاهدنا الورد والياسمين　　　والمُسمعات بقُصَّابها (١)
ومزمَرُنا مُعمَلٌ دائمٌ　　　فأي الثلاثة أزرى بها (٢)؟

ومن خمريات الاعشى المستجادة قوله :

وصهباءَ صِرفٍ كلون الفُصو　　　ص باكرت في الصبح سَوَّارها (٣)
فطوراً تميلُ بنا مُرَّةً　　　وطوراً نعالج إمرارها (٤)
تكاد تَنَشَّي ولما تُذَقْ　　　وتُغشي المفاصلَ إفتارها (٥)
تدب لها فترة في العظام　　　وتُغشي الذوائب فوَّارها (٦)
تمززتها في بني قابيا　　　وكنت على العلم مختارَها (٧)
إذا سُمتُ بائعَها حَتَّه　　　عَنفتُ وأغضبت تجارها (٨)

ومما ينسب الى الاعشى في الخمر ويتسم بخصائصه ابيات له تشبه ان تكون من الشعر المحدث تأتي فيمايلي . والملاحظ ان الاعشى ينظم خمرياته اوقصائده التي ترد فيها

١و٢) قصاب جمع قاصب : الزامر ، النافخ في القصبة . فهل في هـذه الثلاثة : الزهر « الورد والياسمين » ثم المغنيات ثم الزامر ما يشين الخمر ؟ ٣) صهباء : خمر . صرف : بلا مزج . الفص : الحجر الكريم يوضع في الخاتم من « الياقوت الاحمر » . سوار شديد – قمت باكراً وشربت خمراً حادة شديدة الاسكار ٤) مرة تسكرنا ومرة تمنع اسكارها لنا بأكل النقل «؟» ٥) تكاد تسكرنا قبل ان نذوقها ثم هي تجمل مفاصلنا خدرة ٦) نشعر باثرها يسير قليلا قليلا في اجسامنا حتى يبلغ العظام، واذا صبت في الكأس فارت فتطاير رشاشها واصاب ضفائرنا « شعرنا » ٧) تمزز الشراب : تمصص ، شربه على مهل . بنو قابيا : المجتمعون لشرب الخمر ٨) اذا ماكست صاحبها « اردت ان اسقط شيئاً من الثمن » عدني جلفاً وعضب « لانها خمر جيدة تظل رخيصة مهما غلت » .

خمرياته على بحور مرقصة بالاضافة الى ما عرفنا في الجاهلية :

فقمنا ولمـّا يَصِحْ ديكنا الى خمرةٍ عند جَدّادِها (١)

فقلت له : هـذه هاتِها بادماء في حبل مُقتادها (٢)

فقام فصبَّ لنا قهوةً تسكِّننا بعـد ارعادها (٣)

كُميتا تَـكَشَّف عن حمرةٍ اذا صرِّحت بعد إزبادها (٤)

فجالَ علينا بابريقه مُخَضَّبُ كفٍ بفُرصادها (٥)

فرحنا تَنَعِّمنا نشوة تخور بنا بعد قُصادها (٦)

---

١) الجدّاد : بائع الخمر ٢) اخترت خابية وقلت له هات هذه بغبارها وكما جاءك بها الذي يجرها « اشترى الخابية كلها » ٣) قهوة : خمر — الخمر شديدة تضطرب وتجيش في الاناء ولكن اذا شربناها سكنا لانها تخدرنا ٤) لونها مائل الى الحمرة ، فاذا تلاشى الزبد الذى يطفو على وجهها ظهرت حمراء ٥) الفرصاد : التوت الشامي . مخضب كف بفرصادها : غلام صغير «السن» اذا حمل اناء الخمر « وكان من زجاج » ظهرت يده كانها مخضبة بالتوت الشامي « لبياض يده وملاستها ولينها .
٦) تخور بنا بعد قصادها «؟»

٨ - الوصف

كل الشعر وصف . قال ابن رشيق(١) :

« الشعر الا اقله راجع الى الوصف ، ولا سبيل الى حصره واستقصائه . وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ، ولكنه كثيراً ما يأتي في إضعافه (٢) . والفرق بين الوصف والتشبيه ان هذا (الوصف) إخبار عن حقيقة ، وان ذلك مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نُعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع .

ومع الايام تفرع الوصف ابواباً في الشعر فاصبح وصف النساء غزلاً ، ووصف الخمر خمريات ، ووصف الصيد طرْداً . وهكذا اذا قلنا نحن اليوم « الوصف » عنَيْنا الوصف المطلق او وصف الطبيعة بما فيها من حياة : نبات وحيوان او من موات كالجبال والانهار والنجوم والاودية والثياب والهياكل وما سوى ذلك .

واذا نحن اعتبرنا قول ابن رشيق في التفريق بين التشبيه والوصف اصبح الوصف في الشعر كله قليلا وخصوصاً في العصر الجاهلي ، اذ ان اكثر ما نسميه وصفاً داخل في باب التشبيه . واشهر الشعراء الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس والنابغة وطرفة .

واشتهر من اوصاف الجاهليين وصف الاطلال ووصف الناقة والفرس ووصف الوادي ووصف الصيد والنهر والليل والمطر ولكن على قلة ايضاً . ويبدو لنا بوضوح ان الوصف فن حضري في الاكثر ، لان البيئة الحضرية اكثر اختلافا من البيئة البدوية ولذلك كان مجال التفنن فيها اوسع . ومن اشهر الشعراء الجاهليين الذين كثر الوصف في شعرهم امرؤ القيس والنابغة ، وسيأتي الكلام عليهما وعلى اوصافهما في ترجمتيهما .

---

١) العمدة ٢ : ٢٧٨ ٢) تضاعيفه ، اثنائه .

شكل القصيدة الجاهلية :

اذا رجعنا الى القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الاخص، رأينا ان الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص: يبدأون عادة بذكر الاطلال «وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلا بوصف الخمر» ثم بذكر الحبيبة، ثم ينتقل احدهم الى وصف الراحلة ثم الى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص الى المديح مثلا او الفخر (اذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) . وقد يعود الشاعر الى الحبيبة ثم الى الخمر . وبعدئذ ينتهي بالحماسة (او الفخر) او بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) او من الوصف (كما عند امرىء القيس) .

ويجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرىء القيس ، والحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة)

هذا في المعلقات . اما في سائر القصائد الجاهلية فالامر يختلف احيانا اختلافا ظاهر . هنالك مقطعات في الادب او الوصف او الحماسة مستقلة بنفسها . وهنالك ايضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عروة بن الورد:

اقلي عليَّ اللوم يا ابنة منذر ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهري

فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة وموضوع واحد ، هي ان امرأة الشاعر تلومه لأن رزقه قليل، فيبدي هو لها عذره ويقول لها انه يود الا يطلب الغنى اذا كان في الغني مذلة له .

الشعراء الخمسة

سنتناول الكلام في هذه الدراسة على خمسة من شعراء الجاهلية اصحاب المعلقات مع ذكر معلقاتهم كاملة قدر الامكان وشيء من سائر شعر النابغة .

امرؤ القيس بن حُجر الكِنديّ

توفي نحو عام ٨٢ قبل الهجرة ، ٥٤٠ م

قومه واسرته :

يرقى نسب جُندُج بن حُجر ، المعروف بلقب : امرىء القيس ، الى بني كِندة من اليمن . وكان جدّه الاعلى حُجر آكِلُ المرار اولَ ملوك كندة فيما قيل . وفي اوائل النصف الاول من القرن الخامس للميلاد زاد ضعف بعض القبائل في شمالي بلاد العرب فاستطاع الحارث بن عمرو بن حجر آكل المِرار ان يتغلب عليها ثم ملَكَ على بني أسد وبني غَطَفان (عبس وذبيان) وبكر بن وائل وغيرهم . ونحو عام ١٢٢ ق . ه (٥٠٠ م) قسم الحارث القبائلَ التي يحكمها بين اولاده فأعطى حُجراً (والد امرىء القيس) الحكم على بني اسد في نجد .

حياته الاولى :

امرؤ القيس يمني الدار ولكنهُ نزاري المنشأ . نشا في نجد اميراً وألِفَ التنقل في احياء العرب مع نفر من اصحابه واترابه للصيد واللهو ، ولعله فعل ذلك لانه كان اصغر اخوته ولم يكن يطمع في نيل الملك بعد ابيه . ويذكرون ان اباه طرده من بيته لانه كان يقول الشعر ولانه كان ميالا الى القصف والفسق . على ان اهتمامه فيما بعد باخذ ثأر ابيه واعادة الملك إلى اسرته ينفي ان يكون امرؤ القيس خليعاً ماجناً فاسداً كما تصوره بعض الروايات الادبيـــة ، مع ان لهو الامراء امر غير مستغرَب لا في الجاهلية ولا في غيرها .

مقتل حجر :

ويظهر انه بُعيْد عام ٩٢ ق . ﻫ (٥٣٠ م) عاد شيء من القوة الى بني أسد فأَبو'ا ان يستقر حكم حجر الكندي اليمني عليهم واعلنوا إباءهم هـــذا بالامتناع عن أداء الاموال (الضرائب) واستعدوا للقتال فيما لو احتاجوا اليه . فلما أبى بنو أسد دفع الاموال اساء حجر اليهم فقتل نفراً من رؤسائهم وشرد قسما منهم عن نجد الى تِهامة (على ساحل البحر الاحمر)، ولكنه عاد فعفا عنهم لما استشفعه شاعرهم عَبيـد بن الابرص . فلما رجع المشردون (بعد بضعة ايام) انضموا الى اخوانهم وحاربوا حجراً بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . ولا ريب في ان ابناء حجر كانوا معه في المعركة وفروا ، ولعل امرأ القيس نفسه كان في المعركة ايضاً ثم فر لقول عبيد بن الابرص يخاطبه :

* ولقد أبحنا ما حميت ولا مبيحَ لما حمينا
هـذا ولو قدرت عليـ ـك رماح قومي ما انتهينا(١)

* ور كَضك لولاه لقيت الذي لقُوا فذاك الذي انجاك مما هنالكا

اما الروايات التي تذكر ان امرأ القيس كان يشرب الخمر بدمّونَ ثم جاءه نعي أبيه فليست تتسق والشطر الثاني من حياته ولا تتفق مع اقوال عبيد بن الابرص معاصر امرىء القيس .

حياته بعد مقتل ابيه :

عزم امرؤ القيس على الاخذ بثأر ابيه فجعل يطوف في احياء العرب يطلب مساعدتهم، فأبوا ان يعينوه. فالتجأ الى اخويه شُرَحبيل وَسلمة ـ وكان ابوهما حجراً قـــد ولاهما على بكر وتغلب ـ فأعطياه قوماً يدرك بهم بعض ثأره . تتبع امرؤ القيس اثر بني أسد وقاتلهم يوماً او بعض يوم ولكنه لم يظفر عليهم. واعتقد من معه انه بقتل نفر من بني أسد قد اخذ بثأر ابيه فرجعوا عنه ولم يرضَوا ان يخوضوا معه معارك جديدة .

---

(١) ما انتهين : لم تنته الرماح عن ان تصل اليك وتقتلك .

وخرج امرؤ القيس يطلب النجدة من اليمن (من موطنه الاول)، فلم يظفر الا بخمسمائة رجل حارب بهم بني اسد من جديد، ولكن ذلك لم يكن كافياً لاعادة الملك الى أسرته. وظل امرؤ القيس يطلب الجيوش والمساعدة من هنا ومن هنالك فيخيب، او يتعرض لعداوة الامراء الطامعين في ملك ابيه فينجو منهم بشق النفس حتى عام ٨٤ ق . ه (٥٣٨ م) فعزم على المسير الى القسطنطينية بعد ان حمل من الحارث بن ابي شَمِر الغسّاني كتاب توصية الى القيصر يوستينيانوس الاول ٥٢٧ — ٥٦٥ م) المشهور واضع القانون الروماني وصاحب المعارك مع الفرس . ولقد اراد يوستينيانوس — فيما قيل — ان يساعد امرأ القيس استغلالا لجهوده وجهود قومه في سبيل مقاومة الفرس ونفوذهم في بلاد العرب وعلى حدود بلاد العرب . الا ان البرابرة كانوا في ذلك الحين ينحدرون من شمالي اوروبة على جنوبيها وجنوبيها الشرقي على الاخص ويهدمون مدنها ويحتلون اقطارها، فلم يقدر يوستينيانوس ان يغرر بجيش كبير، لحاجته اليه، ولا بجيش صغير لا فائدة منه . فرجع امرؤ القيس من القسطنطينية خائباً ايضا حوالي عام ٨٢ ق. ه (٥٤٠ م) في الشتاء على الاغلب. فلما وصل الى قرب انقرة أصيب بالجُدَري فيما يُظن فتوفي هنالك .

اما ان امرأ القيس تغزل بابنة يوستينيانوس واتصل بها فخبّبه ابوها من اجل ذلك فرواية لا قيمة لنتائجها اذا علمنا فساد البلاط البوزنطي في ذلك الحين . واما ان رجلا اسمه الطماح وشى به لقيصر فرواية اخرى. ويجدر بنا ان نعلم ان «الطماح» ليس اسماً علماً على شخص في الاغلب ، بل صيغة مبالغة من «طمح» ، وهو كناية عن رجل عدو لامرىء القيس .

شعره :

يقدم النقاد امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية خاصة وعلى الشعراء جميعهم عامة ويحتجون لذلك بانه اول من وقف على الاطلال واول من شبه النساءَ بالظباءِ والخيلَ بالعِقبانِ ... وانه اول من وصف الليل وقيّد الاوابد في قوله : «بمنجرد (بحصان) قيد الاوابد هيكل » لأن الاوابد حيوانات متوحشة لا تقيد ...، اي نظم في الصيد .

والحق ان امرأ القيس ليس اقدم الشعراء بل هنالك نفر معاصرون له او سابقون عليه نعرفهم باسمائهم فقط اضياع شعرهم او نعرف اشعارهم ايضاً . ولكنّ امرأ القيس نالَ شهرة عند النقاد والرواة لما في ثنايا حياته من المغامرات في الحب والسفر والقتال ، فغطت شهرته على معاصريه وعلى اسلافه في الشعر . على اننا لو رجعنا البصر في ديوانه لتبين لنا ان فيه خصائص ذاتية تميز امرأ القيس من اقرانه وانداده. فاذا تجاوزنا الخصائص العامة التي امتاز بها الشعر الجاهلي عامة ، على ما مر بك في الفصل الاول ، ادركت ان امرأ القيس :

١) شاعر واسع الخيال — يعرِض امرؤالقيس لحديث عُنيزة مثلا فيستخرج منه قصة عذبة التلاوة جيدة الاتساق غريبة النتائج ، او لحديث الصيد فيجعل منه قصة تامة . ثم ان امرأ القيس تمرس بالاسفار وتقلب في النعيم ففتق ذاك قريحته عن اخيلة جديدة في كل فن طرّقه ، وساعده ذلك على الاجادة وعلى بروز العنصر الشخصي في شعره ، وخصوصاً في الوصف .

٢) شاعر مرح — فهو شاعر يفيض باصناف السرور والوان الفرح فيستهوي النفوس ويجتذبها. والبشر عموماً اميل الى الرجل الطروب منهم الى الرجل الحزين.

٣) شاعر وجداني خالص — وزاد في رغبة الناس في شعر امرىء القيس انه خالٍ من المنافسات ومن الهجاء والمديح وانه مملوء بالنسيب والغزل والاوصاف وذكر المغامرات مما يقربه الى النفس الانسانية في كل عصر . ان اللذة الناتجة من مطالعة المدائح والاهاجي — بما هي مدائحُ واهاجٍ — تموت مع ذهاب المناسبات الخاصة ، واما حديث الغزل واما الوصف واما المغامرات الكبرى في حياة الانسان فتظل حية في نفوس الاجيال . ومن اجل ذلك فضل الناس امرأ القيس على غيره .

فنونه :

يختلف ديوان امرىء القيس من دواوين كثيرين من الشعراء في انه لا ينطوي على جميع فنون الشعر ، فالمديح والهجاء فيه مفقودان لان مقام امرىء القيس في الملك رفعه عن ان يمدح احداً او ان يهجوه . ولكننا نرى له ابيات شكر مثلا او

ابيات ذم قالها في اناس ساعدوه على الطلب بدم ابيه او رفضوا مساعدته، كشكره بني عوف لان سيدهم عويراً قد حمي اهل حجر وابلغهم مأمنهم في نجران . فقال امرؤ القيس فيه وفي قومه :

ثياب بني عوفٍ طَهارى نقيَّةٌ   واوجههم عند المشاهد غُرّانُ

* * *

همُ بلَّغوا الحيَّ المضلَّلَ اهلَه   وساروا بهم بين العراق ونجرانِ،

فقد أصبحوا، والله أصفاهمُ به،   أبرَّ بأيمان وأوفى بجيران .

والفرق بين الشكر والمديح ان الشاكر يُثني على المشكور بعد ان يكون المشكور قد أسدى اليه بعض المعروف. اما المدح فهو ان يُثني المادح على الممدوح طمعاً بكسب وانتظاراً لمعروف. وكذلك شكر امرؤ القيس بني التَّيم رهط المُعلى، وشكر سعد بن الضباب .

وكذلك ليس في ديوان امرىء القيس رثاء بالمعنى المتعارف بين الشعراء الا اذا اعتبرنا رثاءه لاخوته الذين قتلهم المنذر بن ماء السماء في ديار بني مَرِينا قرب الكوفة ، وفيهم يقول :

أَلا يا عينُ بَكِّي لي شنينا   وبكِّي لي الملوكَ الذاهبينا :

ملوكاً من بني حُجر بن عمرو   يُساقون العَشيَّةَ يُقتَلونا .

فلو في يوم معركة أصيبوا،   ولكن في ديار بني مرينا .

اما ما يَلفِتُ النظر خاصة في ديوان امرىء القيس فهو وصف المرأة (النسيب والغزل والمجون) ووصف الطبيعة . وله وصف قليل في الخمر وابيات معدودات في الحكم والفخر وغيره :

* وقد طوَّفتُ بالآفاق حتى   رَضِيتَ من الغَنِيمَةِ بالإياب .

*بكى صاحبي لما رأى الدرب(١) دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا *
فقلت له لا تبك عينك ، إنما   نحاول ملكا او نموت فنعذرا !

اللهو : يوم دارة جلجل :

كان امرؤ القيس اميراً وشاباً مولعاً باللهو يخرج الى الصيد طلباً للمتعة واللذة ويشرب الخمر متنقلا مع رفاقه من الشبان، ويتبع النساء حباً بحديثهن وباللهو معهن. واشهر حوادث لهوه حديث دارة جلجل المذكور في المعلقة:

سمع امرؤ القيس يوما بان ابنة عمه فاطمة (عنيزة) قد ذهبت الى دارة جلجل مع صواحب لها ليتبردن (يغتسلن بالماء البارد) . سار امرؤ القيس الى دارة جلجل فأدرك ابنة عمه وصواحبها في الماء فجمع ثيابهن وجلس عليها ثم قال لهن : لن اعطي احدا كن ثيابها الا اذا خرجت هي (عارية) واخذتها مني .

وامسى المساء على العذارى فخفن البرد والتأخر عن اهلهن فبدأن يخرجن واحدة واحدة امام امرىء القيس ويأخذن ثيابهن . وبقيت عنيزة لا تريد ان تفعل ذلك . ولكن سرعان ما ادركت ان امرأ القيس لن يرجع عن عزمه فخرجت اليه واخذت منه ثيابها .

حينئذ قام امرؤ القيس الى ناقته وذبحها للعذارى فأكلن . ولما حان وقت الرجوع ولم يكن مع امرىء القيس ناقة يركبها اختار ان يركب مع عنيزة في هودجها . وفي المعلقة حديث ذلك كله وخصوصاً بعد ان ترك الجميع دارة جلجل.

الوصف :

يكثر الوصف في شعر امرىء القيس وخصوصاً وصف الطبيعة لكثرة اسفار امرىء القيس ولانه في الاصل شاعر حضري ولكن يعيش في البادية . ويجيد امرؤ القيس وصف البرق والسيل ووصف الليل والخيل والصيد ...

واكثر النماذج على وصف امرىء القيس موجودة في معلقته .

---

١) مضيق يلان ، الممر الوحيد بين سورية وآسية الصغرى .

معلقة امرىء القيس(١)

ان غرض امرىء القيس الرئيسي من نظم المعلقة كان ذكر حبه لابنة عمه ، وهو يُكني عنها مرة بعُنيزة ومرة بفاطمة ، ويذكر يوم دارة جاجل .
وفي اثناء ذلك كله يعرض الشاعر لاغراض مختلفة :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ ... بِسِقْطِ اللِوى بين الدَخول فحَومَلِ ،
فتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رسمُهَا ... لِما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشمألِ (٢)
ترى بَعَرَ الآرامَ في عرَصَاتِها ... وقيعانها كأنه حَبّ فُلْفُلِ (٣)
كأني غَدَاةَ البَيْنِ يوم تحمَّلوا ... لدى سَمُرَاتِ الحيِّ ناقفُ حنظلِ (٤)
وقوفاً بها صَحْبي عليَّ مطِيَّهم (٥) ... يقولونَ : لا تَهْلِكْ أسىً وتجمَّلِ !
وان شِفَائي عَبرةٌ مُهَرَاقة ، ... فهل عند رسم دارسٍ من معوَّلِ (٦)؟
كدأبك(٧) من أمِّ الحُوَيرث قبلها ، ... وجارتِها امِّ الرَباب بمأسلِ ،
اذا قامتا تضوَّع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريَّا القَرنفُلِ .

---

١) ان من يتناول هذه الدراسة يجب ان يكون قد بلغ في اللغة والادب مبلغ من يعرف اكثر مفردات المعلقات ، من اجل ذلك سنكتفي بالضروري من الشرح وسنضرب عن شرح اسماء الامكنة والاشخاص لقلة الجدوى من ذلك .

٢) الجنوب والشمال : ريح الجنوب والشمال . نسجته : نشرت الرمل — ان الريح تأتي مرة من الجنوب فتغطي الطلل ، وتأتي مرة من الشمال فتكشف عنه الرمل ، ولذلك لايزال هذا الطلل محفوظا .
٣) الآرام جمع رئم : الظبي الابيض . العرصة : الساحة . القاع : مستنقع الماء . الفلفل : ثمر نبات صغير مستدير « غير الفليفلة عندنا » ٤) — في اليوم التالي لارتحالهم وقفت تحت شجرات هناك اتأمل اماكنهم المهجورة وانا ابكي « الذي يكسر الحنظل تتعرض عيناه للغاز المتصاعد منه فتدمعان » ٥) ان رفاقي زجروا مطاياهم فوقفت عن المسير ثم جعلوا يلومونني . مطيهم مفعول به من المصدر «وقوفاً»
٦) انني اشفي نفسي ببكائي ، ولكن ما فائدة البكاء عند الآثار الممحوة ؟ ٧) عادتك

ففاضت دموعُ العين مني صَبابةً ... على النَّحر، حتى بلَّ دمعيَ مِحمَلي (١)

ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهن صالح، ... ولا سيما يوم بدارةِ جُلْجُلِ.

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيَّتي، ... فيا عجبًا من رَحلها المتحمَّلِ (٢)

فَظَلَّ العذارى يرتمِين بلَحمِها ... وشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِمَقس المُفَتَّلِ (٣)

ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عنيزةٍ، ... فقالت: لكَ الويلاتُ انكَ مُرْجِلي (٤)

تقول، وقد مالَ الغبيط (٥) بنا معًا: ... عقَرْتَ بعيري يا امرأَ القيس فانْزِلِ!

فقلت لها: سيري وأرخي زِمامه، ... ولا تُبعِديني من جَناكِ المعلَّلِ (٦)

أفاطمَ، مهلاً، بعضَ هـذا التدلل،

وان كنتِ قد ازمعتِ صَرمي فأجملي (٧)

وان تكُ قد ساءتك مني خليقةٌ ... فسُلّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلِ (٨)

أغرَّكِ مني انَّ حبَّكِ قاتلي، ... وانك مهما تأمري القلب يفعلُ؟

وما ذرفت عيناكِ الا لتضربي ... بسهميك في اعشار قلب مُقَتَّلِ (٩)

وبيضة خِدرٍ لا يُرامُ خباؤها ... تمتَّعتُ من لهو بها غيرَ مُعجَلِ (١٠)،

---

١) الصبابة: الحب. النحر: اعلى الصدر. محمل: سير «من جلد» يحمل به السيف ٢) اعجب كيف ان الناقة التي حملتني في المجيء يُحمل سرجها الان على ناقة اخرى «لانه ذبحها» ٣) يرتمين: يناول بعضهن بعضاً. الهداب جمع هدب: الخيوط المتدلاة من اطراف بعض المنسوجات. الدمقس: الحرير الابيض.

٤) الخدر الهودج، مرجلي: اي ستضطرني الى ان انزل وامشي على رجلي" ٥) الهودج ٦) الزمام: اللجام. جناك المعلل: قبلاتك التي يستشفي بها ٧) يكفيك بعض هذا الدلال علي، وان كنت تحبين فراقي ففارقيني بالمعروف ٨) واذا كنت لا ترضين اخلاقي «ومعاملتي لك» فافصلي ثيابك عن ثيابي «اي اتركيني» ٩) لقد بكيت حتى تكسري قلبي الولهان بك ١٠) بيضة خدر: مصونة. لاينال خباؤها: لا يمكن الوصول اليه. غير معجل: على مهل.

تجاوزت احراساً اليها ومعشراً   عليَّ حِراصاً، لو يُسِرون مقتلي (١).

إذا ما الثُريَّا في السماء تعرَّضت   تعرُّضَ أثناء الوِشاح المُفَصَّلِ (٢).

فجِئت، وقد نَضَتْ لنوم ثيابها   لدى الستر إلا لِبْسَةَ المتفضِّلِ (٣).

فقالت: يمينُ الله، ما لك حيلة،   وما إنْ ارى عنك الغَواية تنجلي!

خَرَجْتُ بها أمشي، تجُرُّ وراءنا   على أثرينا ذيلَ مِرط مرحَّلِ (٤).

فلما أجزْنا ساحة الحيِّ، وانتحى   بنابطن خَبْت ذي حِقاف عقنقل (٥)،

هصرت بفَوْدَيْ رأسها، فتمايلت   عليَّ هضيمَ الكَشْح ريَّا المخلخَلِ (٦)،

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضة،   ترائبها مصقولة كالسَّجَنْجَلِ (٧).

تصُدُّ وتُبدي عن أسيل، وتتقي   بناظرةٍ من وحش وجرةَ مُطفِلِ (٨).

وجيد كجيد الرِئم ليس بفاحش،   إذا هي نصَّته، ولا بمعطَّلِ (٩).

---

١) قطعت في الوصول اليها حراساً واناسا يريدون ان يقتلوني « اغيظهم مني » لو كانوا يستطيعون الا يدعوا احداً يدري بذلك ٢) الثريا عنقود نجوم . الوشاح : ما تلقيه المرأة على كتفيها . المفصل : المزخرف بالحجارة الكريمة — ويكون تعرض الثريا في كبد السماء في اول فصل الشتاء وهذا ما يفسر لنا شكوى الشاعر من طول الليل ووصفه المطر الشديد والبرق... ٣) نضت : خلعت . الستر : ستار تنام المرأة خلفه . المتفضل : الذي يلبس ثوباً واحداً خفيفا للنوم او للعمل .

٤) مرط : ثوب حرير . مرحل : فيه وشي وصور — حمل الشاعر حبيبته بين يديه ولكنه ترك ذيل ثوبها يجر على الارض ليمحو آثار اقدامه ٥) حتى اصبح بيننا وبين الحي آكام مرتفعة متعرجة متداخلة ٦) هصر : جذب . الفود : جانب الرأس . هضيم الكشح : ضامر الخصر . ريا المخلخل : لينة حيث تلبس الخلخال عند ادنى ساقها ٧) مهفهفة : خفيفة اللحم . مفاضة : مسترخية الجلد او العضل . ترائب جمع تريبة : جانب صدر المرأة . السنجنجل : المرآة ٨) تصد وتبدي : تعرض عنا وتلتفت الينا . اسيل : « خد » طويل . ناظرة : عين . مطفل : ذات طفل — تنظر شزراً كما تنظر ام الوحش الى الذين تخافهم على اولادها ٩) جيد : عنق . فاحش : كريه المنظر «او كثير الطول». نص : رفع . معطل : خال من الحلى .

وفرعٍ يزين المتنَ أسودَ فاحمٍ ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل (١)،

غدائرُه مستشزِرات الى العُلا ... تضِلُّ العِقاص في مثنًّى ومُرسَل (٢).

وكشحٍ لطيف كالجديل مخصَّر ... وساق كأنبوب السقِي المذلل (٣).

وتضحي فتيتَ المسك فوق فراشها ... نؤوم الضُحى لم تنتطق عن تفضّل (٤).

وتعطُو برخص غير شثْن كأنه ... أساريع ظبيٍ او مساويك إسحل (٥).

تُضيء الظلام بالعِشاء كأنها ... منارة مُمسى راهب متبتّل (٦).

الى مثلها يرنو الحليم صبابة ... إذا ما اسبكرّت بين درع ومجوَل (٧)

كبِكر المُقاناة البياضِ بصفرة ... غذاها نَمير الماء غيرَ المُحلّل (٨)،

تسلّت عمايات (٩) الرجال عن الصِّبا ... وليس فؤادي عن هواك بمُنسَل !

ألا ربَّ خصم فيك ألوى رددتُه ... نصيحٍ على تعذاله غيرِ مؤتل (١٠).

وليلٍ كموج البحر مُرخٍ سُدولَه ... عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي (١١)،

١) فرع : شعر . المتن : الظهر . اثيث : كثيف . قنو : العذق الذي ينمو عليه الرطب «التمر». المتعثكل : المتداخل بعضه في بعض ٢) مستشزر : مرتفع . العقاص : الامشاط . مثنى ومرسل : مجدول وغير مجدول ٣) انبوب السقي المذلل : ساق البردي «قصب الماء» اللين ٤) نؤوم الضحى: تنام حتى يرتفع النهار . تنتطق : تلبس ازار العمل ، منعمة لا تخدم نفسها ٥) عطا : مد . رخص: «اصابع» لينة . شثن : غليظة . اساريع : دود ابيض احمر الرأس، «اشارة الى ان اظافرها معتنية اي ملونة بالحمرة» ، ظبي : اسم مكان . المسواك: قطعة من غصن يستاك «تنظف الاسنان » بها . اسحل : نوع من الشجر .

٦) ممسى: مبيت . المتبتل : المنفرد عن الناس والمتعبد ٧) رنا : ادام النظر . الحليم : ذو الحلم «العقل» ، اسبكرت : استقامت في مشيتها ، درع ومجول: ثوبان للمرأة والفتاة - يقصد ان محبوبته ليست صغيرة السن ولا كبيرة السن ٨) لونها ابيض تخالطه صفرة «وهذا من شروط الجمال» مثل بيض النعام . نمير : صاف، محلل : ينزل عليه اناس كثيرون ٩) العماية : الجهالة ١٠) ألوى :شديد. نصيح على تعذاله : مشتد في لومه اياي. مؤتل : مقصر - رب خصم يلومني فيك كثيراً ، فاذا وصفتك امامه عاد عن لومه اياي ١١) كموج البحر:مضطرب . سدول : ستائر . ابتلاه : اختبره وجربه.

فقلت له ، لمـا تمطّى بصُلبِه وأردف أعجازاً وناءَ بكلكل (١) :

ألا ايها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ ، وما الإصباح منك بامثل (٢) !

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مُغار الفتل شُدَّت بيَذْبُل (٣) .

كأنَّ الـثُريا عُلِّقَت في مَصامها بأمراس كتَّان الى صُمّ جَنْدَل (٤) .

[وقِربةِ اقوامٍ جعلت عِصامها على كاهل مني ذلول مُرَحَّل (٥) .

ووادٍ كجوف العَير قَفْرٍ قطَعْته ، به الذئب يَعْوي كالخليع المُعَيَّل (٦) ،

فقلت له ، لما عوى : إن شأننا قليل الغِنى ، ان كنت لما تَمَوَّل (٧) .

كِلانا إذا ما نال شيئـاً أفاته ، ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٨) .

وقد اغتدي ، والطير في وُكُناتها ، بمُنجرِدٍ قَيْدِ الاوابد هيكل (٩) ،

مكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدبرٍ معاً ، كجُلمود صخر حطَّه السَّيل من عل (١٠) ،

---

١) تمطى بصلبه : مد ظهره . الاعجاز : جمع عَجُز « بفتح العين وضم الجيم » : مؤخر الجسم . الـكلكل : الصدر — يشبه نزول الليل ببروك البعير يسقط اولا على يديه ثم يثبت عجزه على الارض. وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الارض — يقصد ان الليل يأتي ببطء ٢) انجلى الليل : ذهب . امثل : احسن ٣) مغار الفتل : محكم الفتل . يذبل اسم جبل — كأن النجوم مربوطة بحبال فهي لا تتحرك من اماكنها ، اشارة الى طول الليل .

٤) في مصامها : في موضعها . صم جندل : حجارة صلبة ٥) كم حملت لرفاقي قربة الماء على كتفي. ذلول مرحل : معود الحمل كثيراً . العصام : الرباط او الحبل ٦) جوف العير : بطن الحمار ، اي لا فائده منه . وقيل هو اسم واد . الخليع : الذي خلعه «طرده» اهله . المعيل : صاحب العيال . ٧) الغنى : الفائدة . تمول : تكسب مالا ٨) يحترث : يعمل «مثلي ومثلك» . يهزل : يصبح هزيلا ويقال ان هذه البيوت الاربعة ليست لامرىء القيس ٩) اغتدى : خرج في الصباح . الوكنة : وكر الطائر . منجرد : «حصان» قليل الشعر . قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به . هيكل : عظيم الجسم ، ١٠) مكر مفر : كثير الهجوم والرجوع . مقبل مدبر : حسن الركض. ذاهبا وآيبا ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع .

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عن حال مَتنه ... كما زلت الصَّفْواءُ بالمتنزل (١).

على الذَّبلِ جيَّاش كأن اهتزامه ... اذا جاش فيه حَميُهُ غلْي مِرجَل (٢).

مِسَحّ اذا ما السابحات على الوَنى ... أثرن غُباراً بالكديد المركَّل (٣)

يُزِلُّ الغلامَ الخِفَّ عن صهواته ... ويُلوي بأثواب العنيف المثقَّل (٤)

دريرٍ كخذروف الوليد امرَّه ... تتابع كفَّيه بخيط مُوصَّلِ (٥).

له أيطَلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاء سَرحان وتقريب تتْفُل (٦).

ضليعٍ ، اذا استدبرتَه سدَّ فرجه ... بضاف فُويقَ الارض ليس بأعزل (٧)

كأنَّ على المتنين منه إذا انتحى ... مَدَاكَ عروس او صَلاية حنظل (٨).

كأنَّ دماءَ الهاديات بنحره ... عُصَارَةُ حِناءٍ بشيْبٍ مُرجَّل (٩).

١) كميت : احمر مائل الى السواد . حال متنه: اعلى ظهره . الصفواء : الصخرة الملساء . المتنزل : المطر — ان ظهر الحصان للاسته ينزلق عنه السرج ٢) الذبل : الهزال . جياش: كثير الضبح «صوت بطن الحصان» . اهتزامه : ضبحه . حميه : غليه «اشتداد سرعته» . مرجل : قدر عظيمة ٣) مسح : يركض بانطلاق وسهولة . السابحات : جياد الخيل . الوني : الفتور والتعب . الكديد المركل : الارض الصلبة — اذا تعبت الجياد الاصيلة من الجري وجمات تضرب بقوائمها الارض من غير ان تسرع في جريها ، فان هذا الحصان يظل يجري بالسرعة التي كان يجري بها من قبل . ٤) سرعة هذا الحصان تجعل الغلام الخفيف ينزلق عن ظهره فيقع ، اما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن اطراف اثوابه ترتفع في الهواء ٥) درير: شديد الجري . الخذروف :لعبة تتألف من جسم صغير مستدير له عنق يلف عليه خيط وفي العنق حلقة يمسك بها الوليد « الصبي » ويجذب الخيط فتدور بسرعة ويسمع لها صوت. موصل: مؤلف من قطع موصول ما بينها بعقد . ٦) ايطل: خصر . ارخاء : الجري السهل . سرحان: ذئب . تقريب : جري برفع اليدين معا « قفزاً » . تتفل : ولد الثعلب — يصف فرسه باحسن ما في هذه الحيوانات ٧) ضليع : عظيم الصدر « متسع الاضلاع » ، اذا رايته من خلفه رايت ذيله يسدما بين فخذيه ثم يطول حتى يصل الى ما فوق الارض بقليل . اعزل : مائل ، والعرب تحب ذنب الفرس اذا كان مستقيما غير مائل ٨) المتنان: جانبا الظهر . مداك: حجر يسحق عليه الطيب . الصلاية : صخر يسحق عليه الحنظل — يقصد ان ظهر الفرس شديد الملاسة ٩) الهاديات : الحيوانات التي تسير على راس قطيعها . مرجل : مخطط . يقول ان هذا الفرس يسرع كثيراً حتى يلحق بالحيوانات النافرة امام القطيع الهارب ، فاذا طعنها ونفر الدم منها تلقى هذا الفرس الدم «لسرعة سيره» بنحره ، فيختلط هذا الدم الاحمر بالزبد «الابيض» الذي تطاير من فم الحصان الى صدره .

فعنّ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجه عذارى دَوارٍ في مُلاءٍ مذيّل (١).

فأدبرن ، كالجزع المُفَصَّل بينه ، بجيدِ مُعِمٍّ في العشيرة مُخْوَل (٢).

فألحقنا بالهاديات ، ودونه جواحرها في صَرّةٍ لم تَزَيّل (٣).

فعادى عِداءً بين ثور ونعجة دِراكاً، ولم يُنْضَح بماءٍ فيُغْسَل (٤).

فظلّ طُهاة اللحم : من بين مُنْضِج صفيفَ شِواءٍ، او قديرٍ مُعَجَّل (٥).

ورُحنا يكاد الطَرف يقصُر دونه ، متى ما ترَقَّ العين فيه تسهّل (٦).

فبات عليه سرجهُ ولجامه ، وبات بعيني قائماً غير مُرْسَل (٧).

أصاحِ ترى برقاً أريك وميضَه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلَّل (٨)،

يُضيءُ سَناه او مصابيحِ راهب أمال السليط بالذُبال المُفَتّل (٩)،

قعدت له وصُحبَتي بين ضارج وبين العُذيب، بُعْدَ ما متأمل (١٠).

على قطَن ، بالشَّيم ، أيمَن صوبه ، وأيسرُه على الستار فيذبل (١١).

---

١) عنّ : ظهر . سرب : قطيع . دوار : قيل صنما يدار حوله . ملاءة : ثوب . مذيل : له ذيل «بلَون آخر» - يشبه بقر الوحش وهي بيض الظهور سود القوائم بآنسات يلبسن اثواباً بيض الاعالي سود الذيول ٢) الجزع المفصل : الخرز المتعاقب في سلكه ابيض فاسود او فصل بين خرزاته بقطع ذهب . معم مخول : ذو اعمام واخوال معروفين «اصيل» ٣) دونه : وراءه . جواحر : المتخلفات من القطيع . صرة : صياح او غبار . تزيل : تفارق مكانها «بعدُ» ٤) عادي . والى في الركض بينهما «والمراد بين كثير منها» الثور : ذكر بقر الوحش . النعجة : انثاه . دراكا : تباعا . لم ينضح بماء فيغسل : لم يعرق كثيراً ٥) صفيف شواء : الذي يشوي اللحم . قدير : الذي يطبخ اللحم في القدر ٦) ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطا رافعا راسه حتى ان العين تتعب من التطلع الى راسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطررت الى ان تخفضه وشيكا ٧) بعيني : قريبا مني — وظل الفرس مسرجا ملجما واقفا قرب خيمتي غير مرسل الى المرعى « استعداداً لركوبه اذا فاجأتنا غارة». ٨) وميض : لمعان . حبي مكلل : غيم متراكم . لمع اليدين : حركتهما « كناية عن السرعة الخاطفة» ٩) السليط : الزيت . الذبل : الفتيلة — لمعانه ضعيف «لبعده» يشبه قنديل الراهب الذي اوشك زيته ان ينضب فامله الراهب حتى يتجمع الزيت في طرفه فيأخذ منه الفتيلة ١٠) بعد ما متأمل : ما ابعد ما اتأمله « ما ابعده عني !» ١١) قطن والستار ويذبل اسماء جبال . الشيم : النظر . صوبه : هطوله — هذا السحاب يمطر على مساحة واسعة .

فأضحى يَسُحُّ الماءَ حولَ كُتَيفةٍ ... يَكُبُّ على الأذقان دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (١)

ومرَّ على القَنَان من نفَيانه ... فأنزل منه العُصمَ منه كل منزِلِ (٢).

وتيماءَ لم يترك بها جِذعَ نخلة ... ولا أُطُماً إلا مَشيداً بجَنَدل (٣).

كأن ثبيراً في عرانين وَبله ... كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (٤).

كأن ذُرى رأس المُجَيمر غُدْوَةً ... من السيل والغُثّاء فَلْكَةُ مِغزَلِ (٥)

وألقى بصحراء الغبيطِ بَعاعَهُ ... نُزولَ اليماني ذي العِيابِ المُحَمَّل (٦)

كأَن مَكاكيَّ الجِواء غُدَيَّةً ... صُبِحن سُلافاً من رحيقٍ مُفَلْفَلِ (٧)

كأن السباعَ فيه غَرقى عشيَّةً ... بارجائه القُصوى أنابيشُ عُنْصُلِ (٨)

---

١) كتيفة اسم مكان في الجبل . يكب : يرمي . الاذقان : الوجوه . الدوح : الشجر العظيم . الكنهبل : نوع من عظام الشجر – ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار ارضا ٢) القنان : اسم جبل . نفيانه : رذاذه . العصم جمع اعصم : نوع من الظبأ تألف الجبال – كان هذا المطر شديداً حتى ان بعض ما انهمر منه على جبل القنان اضطر جميع ما فيه من الظباء ان تنزل منه ٣) تيماء : قرية «مدينة» من امهات القرى . اطم : حصن . مشيد بجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة – ان السيل جرف الاشجار والبيوت الا ما كان منها حصونا مبنية بالصخور ٤) ثبير : اسم جبل . عرانين وبله : طغيان مطره . البجاد : ثوب مخطط ابيض فاسود . مزمل : ملتف ، وهي مجرورة على المجاورة « لان الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة » وحقها الرفع لانها نعت لكبير – يشبه الجبل بعد ان سال عليه المطر في اماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء ابيض والذي لا يسيل فيه الماء اسود ، وذلك لان البجاد من لباس كبار القوم ٥) الغثاء : ما يحمله السيل من الورق والاوساخ فلكة المغزل : خشبة مستديرة في راس المغزل – ان المطر تجمع بما يحمله من الغثاء في السهل حول هذا الجبل فاصبح راس الجبل يشبه فلكة المغزل ذلك لان فلكة المغزل تكون ملساء لا شيء عليها بينما تكون الخيوط المغزولة ملفوفة حولها .. ٦) بعاعه : ثقله اي كل ما فيه « في السحاب من الماء ». العياب جمع عيبة : وعاء للامتعة – بعد سقوط المطر اعشبت الصحراء وازهر عشبها فشبه الشاعر ما انتشر فيها من العشب والزهر بالاثواب الكثيرة الالوان التي ينشرها (التاجر) اليماني (الآتي من اليمن) على الارض ليعرضها على المشترين ٧) مكاكي : طيور كثيرة الصفير – كأن هذه الطيور سقيت خمراً فيها فلفل حتى يشتد اسكارها ولذلك اكثرت هذه الطيور تغريدها ٨) انابيش : اصول النبات المقتلعة بجذورها من الارض . عنصل : بصل بري – ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد ان جف السيل كأنها اصول نبات واشجار مقتلعة من اماكنها وملقاة هنا وهناك .

طَرَفة بن العبد البَكري

توفي نحو عام ٥٥ ق . ﻫ (٥٦٧ م)

قومه واسرته :

هو من بني قيس بن بكر بن وائل ، كانوا ينزلون بالبحرين في شرقي شمالي بلاد العرب (عند رأس خليج البصرة اليوم) . وكانت امه وردة من بني مالك ابن ضُبيعة من بني ربيعة .

واما طرفة نفسه فاسمه عمرو بن العبد . ولعل اسم ابيه الكامل كان عبد مناة او عبداللات فاقتصر الرواة المسلمون على « العبد » كرهاً منهم أن يسموا الانسان عبداً لغير الله . وكان لطرفة فيما نعلم من شعره اخ اسمه معبد ، وابن عم اسمه مالك. ويظهر انه كان له اخوات اسم احداهن الخِرنِق ، وكانت شاعرة . وربما كان من اخواته شاعرة غيرها ايضاً .

ونشأ طرفة يتيما ، مات ابوه وهو صغير ، فأبى اعمامه ان يقسموا له نصيبه وظلموه حقه . ويظهر ان طرفة خاصة قد تألم من هذا الظلم لانه نشأ مع امه وردة في بؤس وفقر . اما اخوه معبد فكان في الاغلب اكبر منه ، ولعله كان ايضاً من غير امه ، وكان بلا ريب صاحب إبلٍ كثيرة وانعام فلم يَشكُ من الدهر ماشكاه طرفة . وفي شعر طرفة انه لم يكن على اتفاق مع اخيه معبد .

حياته العامة

قال طرفة الشعر شاباً ناشئاً وتعرض به مدحاً وهجاء . وكان اكثر تعرضه لبلاط الحيرة ، فيقال ان طرفة كان يرعى ابلًا له ولاخيه ، وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر فقال له اخوه : « لم لا تسترِيح بابلك (ترجع بها في الليل الى معاطنها) ؟ — ترى انها ان اخذت منك تردها بشعرك هذا ؟ » قال طرفة : فاني لا اخرج بها ابداً حتى تعلم ان شعري سيردها ان اخذت. فتركها (طرفة) فأخذها اناس من مضر . فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابني المنذر الثالث ملك

الحيرة (ت ٦٨ ق.هـ ، ٥٥٤م) وقال :

أعمرو بن هند، ماترى رأيَ صِرمة(١) ... لها سبب ترعى به الماء والشجرْ

وكان لها جاران ، قابوسُ منهما ... وعمروٌ، ولم استرعِها الشمسَ والقمرْ.

فعوضه هذان ، فيما قيل، إبلاً مكانها.

على ان طرفة لم يتصل بعمرو بن هند مباشرة ، بل كان متصلا بأبيه من قبله ، ثم اتصل باخيه لابيه « لا من امه » واسمه ايضاً عمرو بن امامة وذهب معه الى اليمن فمكثا هنالك بضع سنوات . ولم يزر طرفة بلاط الحيرة في ايام عمرو بن هند (٥٥٤ — ٥٦٨ م) قط .

وقد اشترك طرفة في حرب البسوس التي انتهت قبل ان تبدأ حرب داحس والغبراء ببضع سنين او تزيد .

موته

وزعموا ان سبب مقتل طرفة انه هجا عمرو بن هند فكتب عمرو بن هند له ولخاله المُتَلَمِّس كتابين الى عامله على البحرين واوهمها ان في الكتابين امراً بصلة لهما . اما المتلمس فقد شك في كتابه ففضه وسأل احد صبيان الحيرة ان يقرأه له ففعل ، فاذا فيه امر بقتله. عندئذ شق المتلمس الكتاب وألقاه في النهر ، ثم قال لطرفة : ان في كتابك مثل ما في كتابي . فلم يشأ طرفة ان يصدق وتابع طريقه حتى وصل الى البحرين . وكان عامل البحرين قريبا لطرفة فنصحه ان ينجو بنفسه فلم يقبل ، فسجنه ثم سأله عن الطريقة التي يختارها لقتله فقال له : اسقني خمراً وافصد اكحلي . (الاكحل عرق في الذراع) . ففعل عامل البحرين ذلك وتوفي طرفة على الاثر .

هذه القصة ظاهرة الصنع كما يبدو من تفاصيلها ، وخصوصاً اذا علمنا ان طرفة لم يزر عمرو بن هند في ايام حكمه . والاقرب الى الصواب ان يكون طرفة قد صحب عمرو ابن امامة (اخا عمرو بن هند لابيه) الى اليمن ، وقد مكثا هنالك بضع سنوات وقتلا كذلك هنالك في حديث طويل .

---

١) قطعة من الابل

وزعم قوم ان طرفة ُقتل وعمره عشرون سنة ، ومنهم من زعم انــــه قتل وعمره ست وعشرون ، وهم يستشهدون على ذلك بقول اخته الخِرنِق :

عددنا له ستاً وعشرين حِجَّةً فلما توفاها استوى سيداً ضخما .

فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال لا وليداً ولا قحما .

والقحم المتناهي في السن . إلا انه ليس ثمة من دليل على ان هذه الابيات قيلت في طرفة . ومع ذلك فان هذا الشاعر قد توفي في إبان شبابه .

خصائصه الفنية :

طرفة شاعر مقل تروى له بضع قصائد فقط ، وذلك راجع بلا شك الى انــه مات صغيراً ، مع ان بعضهم يعتقد ان شعره قد ضاع . وعلى رغم ذلك كله فان طرفة قد بلغ من جودة الشعر بحداثة سنه ما بلغه غيره من الشعراء بطول اعمارهم. وطرفة يعد في المتقدمين من شعراء الجاهلية بمعلقته، حتى قالوا انه اشعر الناس واحدة، اي ان معلقته تفضل كل قصيدة جاهلية اخرى اذا قيست بها وحدها.

وشعر طرفة بدوي خالص ، بل هو ادل على البداوة من شعر كل شاعر جاهلي آخر : انه كثير الغريب من الالفاظ ، كثير المتانة في التركيب . وفي تشابيهه واستعاراته شيء من الابهام . واما من حيث المعاني ففي معلقته اختراعات جعله بها ابن رشيق (١ : ٢٣٣) في المنزلة الثانية بعد امرىء القيس ، واستشهد له بابياته التي تبدأ في المعلقة بقوله: «ولولا ثلاث هنّ من لذة الفتى ...» وبغيرها ايضاً .

وكذلك اغراض طرفة في معلقته خاصةً متعددة مختلفة، وهي مطبوعة بطابعه الشخصي على الرغم من انه اراد الا يشذ عن القاعدة الجاهلية في «بِرّ» الاقربين ولو اساءوا اليه . ان قول طرفة في معلقته :

ولو كان مولاي امرأً هو غيره لفرّج كربي او لأنظرني غدي

يدل على هذا النزاع النفسي بين ما يشعر به هو شخصياً وبين ما كان يقضي به « البر » للاقربين في الجاهلية . الا ان العنصر الشخصي لا يلبث ان ينتصر على العادة السائدة

فيقول طرفة وهو يتألم :

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على النفس من وقع الحسام المهند.

فمن الاغراض التي تظهر في المعلقة خاصة عتابه لابن عمه مالك وغزله بخولة ووصفه للناقة وفخره بنفسه في الحياة والحرب ثم حكمه التي استمدها من نفسه ومن سوء معاملة اهله له . وله في غير المعلقة مقطعات مختلفة في الهجاء وشيء نزر من المديح . وسنوجز الكلام على هذه الاغراض ، ولكن سنستشهد فقط على ما ليس له شواهد في المعلقة .

١ . **الهجاء** — من المنتظر ان يكون المدح في شعر طرفة نزراً وان يكون الهجاء كثيراً ، لِمَا عامت من طرد قومه له وظلم اهله اياه . وهجاؤه قصير ، مؤلم وفيه تهكم ، على ما فيه من قلة المبالاة بالناس والجرأة على ذكر عيوبهم ، حتى لقد تهكم على خاله المتلمس الشاعر ، كما قيل . وكذلك هجا عمرو بن هند الذي كانت العرب تهابه هيبة شديدة . ولقد اجمع الرواة على ان مرارة هجاء طرفة كانت السبب في مقتله .
من ذلك هجاؤه لعبد عمرو بن بشر صهره ، وكانت اخت طرفة قد شكت اليه شيئاً في زوجها يجب الا يشكى من الرجال . فلما مالأ عبد عمرو الملكَ عمرو بن هند ، فيما بعد ، على طرفة قال فيه طرفة :

فيا عجباً من عبد عمرو وبغيه   لقد رام ظلمي عبد عمرو فانعما.

ولا خيرَ فيه غير ان له غنىً   وان له كشحاً اذا قام اهضما (١).

تظل نساء الحي يعكفنَ حوله   يقلن: عسيب من سرارة مَلهما (٢).

وهجا طرفة عمرو بن هند واخاه قابوساً فقال فيهما :

فليت لنا مكانَ المَلْك عمرٍو   رَغوثاً حول قُبتنا تخور (٣)

لعمركَ ان قابوس بن هند   ليخلطُ مُلكَه نوكٌ (٤) كثير .

---

١) الكشح الاهضم : الخصر النحيل « وهو من صفات النساء ». ٢) تدور النساء حوله ثم يرجعن وهن يقلن : هذا جريدة نخلة ! سرارة ملهم : مكان كثير النخل ٣) رغوث : شاة حلوب . قبة : خيمة. تخور : ترفع صوتها. ٤) حمق .

٢. الوصف — ليس لطرفة في غير الناقة وصف يذكر . ولقد وصف الناقة في معلقته بستة وثلاثين بيتاً هي اطول ما عرف في وصف الناقة في الشعر الجاهلي. ويدهشك ان ترى طرفة لا يكتفي بوصف الاعضاء الظاهرة للناقة بل يصف اعضاءها الباطنة كقلبها وكملتقي عظام الجمجمة . ان هذا الوصف مادي ، انه تصوير حسي للناقة .

٣. الفخر والحماسة — ومع ان اهل طرفة قد اساءوا اليه فانه افتخر بهم حين انتصر بنو بكر على بني تغلب يوم تحلاق اللِمم (حلق الرؤوس) وهو آخر الايام (المواقع) العظيمة في حرب البسوس ، تلك الحرب التي دامت اربعين عاماً حتى اطفأها المنذر (الثالث) ابن ماء السماء (ت٦٨ق ه ، ٥٥٤م) :

سائلوا عنا الذي يعرِفنا   بقُوانا يوم تحلاق اللِّمَمْ .
خيرُ حي من مَعَدٍ عُلموا   لكفيٍّ[١] ولجار وابن عَمْ .
وتفرّعنا من ابني وائل   هامة المجد وخُرطوم الكرم .

أما حماسته فتقوم على النجدة والاسراع الى الحرب وعلى البأس في القتال والشجاعة مما تراه في المعلقة .

٣. الغزل — طرفة مادي الهوى يرغب في اللذة العاجلة ولذلك يندر ان ترى عنده نسيباً او غزلاً وجدانياً ، بل هو اميل في غزله الى الوصف المادي والى المجون ، فالمرأة احدى لذات طرفة الثلاث ، وخصوصاً اذا كان اليوم ممطراً وكان هو لا يستطيع فعل شيء آخر :

وتقصيرُ يومِ الدَّجنِ ، والدجنُ معجِبٌ   ببهكنة تحت الخباء المعمَّدِ .

وطرفة من اقدم الشعراء الذين جرى عندهم الغزل المؤنث في لفظ مذكر :

وفي الحي احوى ينفض المَرْد شادن   مُظاهر سِمطَيْ لؤلؤ وزبرجد

٤. العتاب — واكثر عتاب طرفة لاهله وقومه إما لانهم طردوه او ظلموه ، واما لانهم خذلوه حينما خذلوه قبيل مقتله . وعتابه اقرب الى الهجاء . واذا نحن تركنا

(١) الكفي : الكافي ، الذي لا يحتاج الى من يدافع عنه .

الاستشهاد على عتابه لابن عمه لانه وارد في المعلقة فيجدر بنا ان نستشهد بما عاتب به اهله قبيل مقتله فيما قيل:

اسلمني قومي ولم يغضبوا   لسوءة حلّت بهم فادحة.
كم من خليل كنت خاللته   لا ترك الله له واضحة (١).
كلهم اروغ من ثعلب،   ما أشبهَ الليلةَ بالبارحه!

٥. حكمه — وطرفة على صغر سنه من حكماء الجاهلية، بل لعل حكمه في معلقته اقرب ما في الشعر الجاهلي الى معنى الحكمة. ويزيد في قيمة الحكم عند طرفة انها مستمدة من حياته الخاصة ومن اختباره هو بعد الذي عاناه من ظلم اهله، فقد اندفع يطلب الحياة ويرى ان كل ما وراء هذه الدنيا المادية وكل ما وراء لذاتها العاجلة باطل.

ومع ان طرفة افتخر بالكرم والنجدة والشجاعة فانه حصر لذاته في الخمر والمرأة والضيافة. ثم رأى ان اللذة المادية العاجلة هي كل ما يصبو اليه الانسان. اما الحياة الاخرى فقد انكرها. ولقد فسح طرفة في الحياة مجالا كبيراً «للاتفاق». اما الموت فيأتي على كل شيء، ولا يمكن لاحد ان يدفعه عن نفسه ولا عن غيره. وهذا هو الجبر الحقيقي «وهو ان ما يأتي على الانسان في هذه الحياة لا يأتيه باختياره». من اجل ذلك كان طرفة ماديا في آرائه فاعتقد ان ما انفقه الانسان في الحياة وتمتع به فقد ربحه، واما ما تركه وترك التمتع به فقد اضاعه.

ولعل اعظم ما في حكمه «آراؤه في الاخلاق» تلك الآراء التي تقرب من ان تكون فلسفة: لقد فصل طرفة بين اسلوب الحياة وبين الاخلاق، اذ الاخلاق عنده مبدأ اجتماعي ينحو نحو حسن معاملة الناس. اما افعال الانسان واعماله الفردية «كالسكر مثلا والقمار والاستهتار في طلب الملذات كلها» فأمور شخصية بحت، يعود نفعها وضررها على صاحبها وحده.

---

١) لا ترك الله له اسنانا.

الحياة والموت :

ووقف طرفة على الحياة والموت في معلقته وقفة طويلة .

كان العرب في الجاهلية دهريين يؤمنون ببقاء االدهر وخلوده وبان كل انسان سيصيبه الدهر بالموت صغيراً او كبيراً ، صحيحاً او سقيما مغامراً او جبانا . اما الموت فهو نهاية الحياة البشرية ،ثم ليس هنالك حياة اخري بعد الموت . وقد ذكر القرآن الكريم اعتقاد الجاهليين هذا فقال يقرّعهم (١) :

« وقالوا : ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا (يموت بعضنا ويحيا — يولد — بعضنا) وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » .

وهذا ظاهر كله في معلقة طرفة :

يرى طرفة ان يندفع نحو اللذة العاجلة التي تحصل من شرب الخمر خاصة واللهو مع النساء ومن الكرم ، فاذا حصلت له هذه فلا يبالي بعدها — متى يموت . وهو يريد ان يشرب الخمر في الحياة ويكثر لان الموت عدم ولا خمر بعد الموت . ثم ان كل انسان سيموت فاذا مات البشر تساوَوا تحت التراب وكان قبر البخيل وقبر السفيه المسرف واحداً في مظهره: كومة من تراب ثم حجر يدل على ان تحت هذه الكومة ميتاً . والموت يأتي على كل شيء وعلى كل حي . ثم ان كل يوم يمضي ينقص من عمر الانسان .اما الزمان فابدي لا ينتهي.

---

(١) ٤٥ الجاثية : ٢٤ .

معلقة طرفة بن العبد

قال طرفة معلقته ليبسط شكواه من اهـــله ويعلن آراءه في الحياة ، كما انه ضمنها بعض ما كان يفتخر به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم . وتعتبر معلقة طرفة من ادل القصائد على خصائص الشعر الجاهلي وعلى العقلية الجاهلية البدوية :

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ — تلوح كباقي الوشم في ظاهِرِ اليدِ (١)

وقوفـاً بها صحبي عليّ مَطِيَّهم — يقولون: « لا تَهْلِكْ أسىً وتجلد » .

كأنَّ حُدوجَ المالكيَّةِ غُدْوَةً — خلايا سَفِينٍ بالنواصف من دَدِ (٢) .

عَدَولِيَّةٌ او من سفين ابن يامنٍ — يجور بها الملاَّح طوراً ويهتدي (٣) .

يشُقُّ حُبابَ الماء حَيزومُها بها — كما قسم التُّربَ المُفايِلُ باليد (٤) .

وفي الحي أحوى ينفضُ المَردَ شادنٌ — مُظاهر سِمطَيْ لؤلؤ وزَبَرْجَد (٥) .

خذول تُراعي رَبْرَباً بخميلة — تَناوَلَ اطراف البَرير وترتدي (٦) .

وتبسِم عن ألمَى كأن منوَّراً — تخلل حُرَّ الرمل دِعصٍ له نَدِ (٧) .

---

١) كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد نفرت عروقها وتعرج جلدها ، حينما يتقدم الانسان في السن . (غير واضحة)

٢) الحدج : الهودج . المالكية : خولة حبيبته « من بني مالك بن سعد بن ضبيعة » . خلايا سفين : سفن عظيمة . يجور : يضل . ٣) عدولية « نسبة الى ارض ما او رجل ما » . ابن يامن ، « قيل ملاح معروف » . ٤) حباب الماء : الزبد . حيزوم : مقدم السفينة . المفايلة : لعبة يجمعون لها كومة من الرمل ثم يأتي لاعب فيخفي فيها جسما ما وبعدئذ يمر يده في وسط الكومة ويسأل لاعباً اخر عن مكان الجسم ، اهو عن يمين يده او عن يسارها . ٥) احوى ، الحوة : السمرة في الشفاه وفي الاجفان والمقلتين . شادن ، يشبه المحبوبة — اذا مدت عنقها — بالظبي الذي يحاول ان يطال ثمر الاراك ، ثم هي تلبس عقدين من لؤلؤ وزبرجد . ٦) خذول : تركت الظباء واقامت على ربربها (ولدها) ، ثم هي تأكل من شجر الاراك وترتدي (تختفي بين اغصانه واوراقه) . ٧) اللمى : السمرة في اللثة ، ثم يجعل اسنانها البيض كأنها زهر ابيض مغروس في تلة من الرمل الاحمر الخالص .

سقتْه إياةُ الشمس إلاَّ لثاتِهِ أُسِفّ، ولم تكدِمْ عليه، بإثمِدِ (١).

ووجهٌ كأنَّ الشمس ألقت رداءها عليه، نقيُّ اللونِ لم يتخدَّدِ (٢).

واني لأُمضِي الهمّ عند احتضاره بعَوْجاءَ مِرقالٍ تروح وتغتدي (٣).

أمون كألواح الإِران نسأتها على لاحِبٍ كأنه ظهر بُرْجُدِ (٤).

تُباري عِتاقاً ناجياتٍ، وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مَورٍ مُعبَّدِ (٥).

لها فَخِذانِ أُكمِل النَّحْض فيهما، كأنهما بابا مُنيفٍ مُمرَّدِ (٦).

لها مِرفقَان أفتلان، كأنما تَمُرُّ بسَلْمَيْ دالجٍ مُتَشَدِّدِ (٧).

كقنطرة الروميّ أقسمَ ربها لتُكتَنَفنْ حتّى تُشادَ بقَرْمَدِ (٨).

صُهابيةُ العُثنونِ، مُؤْجدةُ القَرا، بعيدةُ وخدِ الرِّجلِ، موارةُ اليدِ (٩).

أُمِرَّت يداها فتلَ شزْرٍ، وأُجنِحت لها عَضُداها في سَقِيفٍ مُسنَّدِ (١٠).

---

١) لون اسنانها كاياة «ضوء» الشمس ، وكأن اللثة قد رش عليها اثمد « كحل » فاسمرت وذلك من جمال اللثة عند العرب ، ثم هي لم ترهق اسنانها فتتشوه اشكالها واما كنهـا . ٢) تخدد : تشقق. ٣) امضي الهم : اذهبه . عوجاء مرقال : ناقـة ضامرة سريعة في تسلق التلال . ٤) امون : لا تعثر . الاران : التابوت (يقصد انها قوية البنية كالواح الخشب المتينة) . نسأتها : زجرتها وضربتها لتسرع في المسير . اللاحب : الطريق . برجد : الثوب المخطط (يقصد على طريق سهل مستقيم) . ٥) عتاق ناجيات : نياق كريمات الاصل سريعات . الوظيف : عظم الساق (يعني انها تسرع فتتبع رجلها بيدها) . المور : الطريق . ٦) اكمل النحض فيهما : تم لحمها ، كأن فخذيها جانبا باب قصر ٧) افتلان : «هنا» متباعدان عن صدرها . السلم: الدلو . دالج : الذي ينقل الماء من البئر الى حوض الابل . متشدد : متكاف ، متجلد - يشبه مرفقي الناقة في تباعدهما عن صدرها بتباعد ذراعي الرجل الذي يحمل دلوين دلالة على قوته . تمر : تفتل . ٨) القنطرة : الجسر . الرومي : اليوناني ، اشارة الى مقدرة اليونان في البناء ، يقول : هي تشبه الجسر الذي رفع بناؤه واحيط بجدار من الاجـر «القرميد» . ٩) صهابية العثنون : الشعر الذي تحت شفتها اليسرى يميل الى الحمرة . مؤجدة القرا: صلبة الظهر . الوخد : بعد ما بين الخطوة والخطوة . موارة : كثيرة الحركة « والعرب يستحسنون ان يكون خطو رجل الناقة ثابتا بعيداً ، اما خطو يدها فمع حركة » . ١٠) فتات يداها فتلا شديداً وقام عضداها «القسمان الاعليان من ذراعيها » على جانبي جسمها كأنما يرفعان فوقهما سقفاً .

لها كتِفاها في مُعالى مُصَعَّد ... جَنُوحٌ دِفاقٌ عَنْدَلٌ ثم أُفرعت (١) .

كسُكّانِ بُوصيٍّ بدجلةَ مُصعِدِ ... واتلعُ نَهّاضٌ اذا صعّدت به (٢) .

وعى الملتقى منها الى حرف مِبرد ... وجُمجمة مثلُ العَلاة كأنما (٣)

كسِبتِ اليماني قدّه لم يجرَّد ... وخدٌّ كقُرطاس الشآمي ومِشفَر (٤) .

بكهفي حِجاجي صخرةٍ قَلْتِ مَوردِ ... وعينان كالماويّتين استكنّتا (٥)

لهجسٍ خفيٍّ اولصوتٍ مُندّدِ ... وصادِقتا سمع التوجّس للسُرى (٦) .

كسامعتي شاة بحومل مُفرَدِ ... مؤلّلتان تعرِف العِتق فيهما (٧) .

كمِرداةِ صخرٍ في صفيحٍ مُصمّدِ ... وأروعُ نبّاضٌ أحذُّ مُلَمْلَم (٨) .

عتيقٌ متى ترجُمْ به الارض تزدَدِ ... واعلمُ مخروتٌ من الانف مارنٌ (٩) .

---

١) جنوح : تميل في السير الى احد جانبيها . دفاق : مندفعة في السير . عندل : كبيرة الرأس، وقد ارتفعت كتفاها حتى وصل اصلها الى ادنى السنام . ٢) اتلع نهاض : عنقها مرتفع . سكان بوصي : دفة السفينة . مصعد : «هنا» صاعد في مجرى النهر الى اعلاه « وهذا اصعب لانه يغالب بالسكان الموج ويعارض التيار » . ٣) العلاة : السندان الذي يضرب عليه الحداد ، ثم ان عظام جمجمتها متصل بعضها ببعض على قوة ومتانة ، وهي مسننة كطرف المبرد « طرفة يتخيل الجمجمة المجردة من الجلد واللحم على ما نعرف من علم التشريح » . ٤) خدها ابيض كالورق ولا شعر عليه ، وشفتها رقيقة كالجلد المدبوغ للصناعة ولم يجرد « غير منكسر او ملتوٍ » دلالة على ان الناقة فتية لا مسنة . ٥) الماوية : المرآة . استكن : استقر . الحجاج : العظم المشرف على العين وعليه ينبت الحاجب . قلت مورد : نقرة ينبع منها الماء . ٦) اذناها تسمعان الصوت الخفي في الليل وتسمع صوت المندد «الذي يرفع صوته» . ٧) مؤلل : محدد . العتق : كرم الاصل «او ليس في داخله شعر» . مفرد : منفرد — الوحش المنفرد اكثر تنبهاً للاصوات من الحيوان الاليف . ٨) اروع نباض : قلب قوي النبض . احذ : املس . ململم : مجتمع ، مكتنز . مرداة : صخرة . صفيح مصمد : حجارة عريضة صلبة «يصف موقع قلبها داخل صدرها» . ٩) واعلم مخروت من الانف : شفتها العليا التي تحت انفها مشقوقة . مارن : لين « صفة لانفها» . عتيق : « يدل على كرم اصل الناقة» . متى ترجم به الارض تزدد : اي متى تضرب بناقتك في الارض « تسافر عليها » تزدد سرعة على المسير . — متى خفضت الناقة رأسها ازدادت سرعتها .

وان شئتُ سامى واسطَ الكور رأسُها وعامت بضَبْعيها نجاءَ الخفَيْدد (١).

وان شئتُ لم تُرقِلْ وان شئتُ ارقلت مخافةَ مَلويٍّ من القِدّ مُحصَد (٢).

على مثلِها أَمضي اذا قال صاحبي: « ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي ».

اذا القوم قالوا: «من فتى؟» خِلْتُ انني عُنيت فلم أكسَلْ ولم أتبلَّد.

أَحلْتُ عليها بالقَطِيع فاجذمتْ وقد خَبَّ آلُ الأمعز المتوَقد (٣).

فذالت كما ذالت وليدة مجلسٍ تُري ربَّها اذيالَ سَحْلٍ مُمدَّدِ (٤).

ولستُ بحلاَّلِ التِّلاع مخافةً ولكن متى يسترْفِدِ القوم أُرفِد (٥).

فانْ تبغِني في حَلْقَةِ القوم تلقَني وان تقْتنِصْني في الحوانيت تصطد (٦).

وان يلتقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقني الى ذِرْوة البيْت الكريم المصمَّد (٧).

متى تأتِني أصبَحْك كأساً رَويَّة وان كنت عنها ذا غنى فاغنَ وازدد (٨)

نَداماي بِيضٌ كالنجوم وقَيْنَةٌ تروح الينا بين بُرد ومُجسَد (٩).

---

١) ربما جذبتُ برسنها فأصبح راسها موازيا في العلو لكورها «سرجها» ، ثم مدت ضبعيها «عضديها» كأنها تسبح ، كما يجري الخفيفد « ذكر النعام» . ٢) ملوي من القِد « الجلد » : السوط . محصد: الشديد الفتل . ٣) احلت عليها بالقطيع : ضربتها بالسوط . اجذم : اسرع . خب : اضطرب . الآل: السراب . الامعز : المكان الغليظ الكثير الحصى . ٤) اي ماست وتبخترت الناقة في مشيتها كما تفعل الفتاة لتري سيدها ثوبها الابيض الطويل الذيل . ٥) اي لا اسكن التلاع وهي مجاري المياه من رؤوس التلال ، ولكن اذا جاء طالب رفد «عطاء» أعطه « يعني لا اهرب من اكرام الضيوف ». ٦) حلقة القوم : ناديهم . الحانوت مكان بيع الخمر ، « يعني تجدني مع اشراف القوم وتجدني في محلات اللهو » . ٧) المصمد : المقصود « يعني اذا انتمى الناس الى انسابهم فانني انتمى الى اشرف البيوت » . ٨) اصبحك : اسقيك « الخمر » صباحاً . روية : تروي . ثم يقول : واذا كنت ذا مال يغنيك عن قبول كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به . ٩) النديم : الذي يشرب الخمر معك . القينة : التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم . البرد : الثوب الابيض . المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران « يعني يلبس ثوبين ابيض ومصبوغاً » .

رحيبٌ قِطَابُ الجيبِ منها ، رقيقةٌ   بجس الندامى ، بضّة المتجرّدِ (١).

اذا نحن قلنا : « أسمعينا » أنبرت لنا   على رِسْلِها مطروفةً لم تشدّد (٢).

اذا رجّعت في صوتها خلتَ صوتَها   تجاوُبَ أظآرٍ على رُبَعٍ ردي (٣).

وما زال تشرابي الخمورَ ولذّتي   وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلَدي (٤).

الى ان تحامتني العشيرةُ كلُّها   وأفردتُ إفرادَ البعيرِ المعبَّدِ (٥).

رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكرونني   ولا اهلُ هذاكَ الطِرافِ الممدّد (٦).

ألا أيُّهذا اللائمي أشهدَ الوغى   وان احضُرَ اللذاتِ هل انت مخلِدي ؟ (٧)

فان كنتَ لا تستطيع دفع منيّتي   فدعني ابادرْها بما ملكت يدي !

فلولا ثلاثٌ هنّ من لذة الفتى   وجدِّكَ لم احفِل متى قام عُوّدي (٨) :

فمنهن سبْقي العاذلاتِ بشَربةٍ   كُمَيتٍ متى ما تُعلَ بالماء تُزبدِ (٩).

وكرّي ، اذا نادى المضافُ ، مجنَّباً   كسِيد الغضا ، نبّهته ، المتوردِ (١٠).

---

١) رحيب : واسعة . قطاب الجيب : مجتمع الثوب حول العنق « يصف اتساع صدرها » . رقيقة بجس الندامى : اذا الندامى جسوا جسدها وجدوه رقيقاً ليناً . بضة : بيضاء لينة . المتجرد : التجرد من الثياب . ٢) اسمعينا : غني لنا . رسلها : هينتها وسكونها . انبرت : « اجابت » . مطروفة : ساكنة ، مسرعة . تشدد : « تتشدد » : لتهيأ وتجتهد . ٣) رجّع : ردد الصوت . اظآر جمع ظئر : « ام » . ربع ردٍ : طفل ميت ٤) الطريف والمتلد : المال المكتسب والموروث . ٥) تحامتني : اجتنبتني . المعبد : المدهون بالقطران « لانه اجرب » . ٦) غبراء : الارض . بنو غبراء : الفقراء . الطراف : الخيمة من جلد . اهل الطراف : الاغنياء . ٧) يا ايها الذي يلومني على الذهاب الى القتال وعلى التمتع بالملذات ، هل تستطيع ان تخلدني في الدنيا « اذا انا لم افعل ذلك » ٨) احفل : اهتم . العود جمع عائد : الذي يزور المريض . قام عودي : مت « لان المريض اذا اوشك ان يموت خرج العائدون من عنده » . ٩) العاذلات : اللائمات . كميت : خمر حمراء ، يصفها بانها اذا مزجت بالماء علاها الزبد . ١٠) كري : اسراعي . مجنباً : قائداً فرسي مع ي لاحمل الضيف عليها . السيد : الذئب . الغضا : نوع من الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية . المتورد : الذاهب الى الماء « العطشان » .

وتقصيرُ يومِ الدّجنِ، والدجنُ مُعجِبٌ ببَهكنةٍ تحتَ الخِباءِ المعمَّدِ (١).

فذَرْني أُرَوّي هامتي في حياتها ستعلمُ ان مِتنا غداً أيُّنا الصدي (٢).

كريمٌ يروّي نفسه في حياته مخافةَ شربٍ في المماتِ مُصرَّدِ (٣).

لعمرُكَ ان الموتَ ما اخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرخى وثِنْياه باليد (٤)،

متى ما يشأ يوماً يقُدْه لحتفه ومن يكُ في حبلِ المنيةِ يَنقدِ (٥).

ارى قبرَ نَحّامٍ بخيلٍ بماله كقبرِ غَويٍّ في البَطالةِ مفسِدِ (٦)

ترى جُثوتين من ترابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنضَّدِ (٧).

ارى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدّدِ (٨).

ارى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا ارى بعيداً غداً. ما اقربَ اليومَ من غدِ!

ارى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تَنقُصِ الايامُ والدهرُ يَنفَدِ (٩).

فما لي اراني وابنَ عمّيَ مالكاً متى ادنُ منه يَنأَ عني ويبعُدِ.

يلومُ ولا ادري علامَ يلومني كما لامني في الحيِّ قُرطُ بنُ أعبَدِ (١٠).

وآيسَني من كلِّ خيرٍ طلبتُه كأنا وضعناه الى رمسٍ مُلحَدِ (١١).

---

١) الدجن : المطر . معجب : يعجب « منه من رآه لشدته » . بهكنة : امرأة كاملة الخلقة . المعمد : المرفوع على عمد « خيمة كبيرة ». ٢) الصدي : العطشان . ٣) : مصرد : قليل . ٤) الطول : الحبل . ثنياه : طرفاه . ٥) يشبه الانسان في يد الموت كالحيوان المربوط بحبل ، وهو مرسل يرعى ، فمتى شاء الموت جذب الانسان اليه . ٦) نحام : الذي يتنحنح عندما يسأله احدمعروفاً. ٧) الجثوة : الكومة . منضد : مرفوع « على القبر » . ٨) يعتام : يختار . العقيلة : « هنا » خيرة المال . الفاحش : السيء الخلق . المتشدد : البخيل – الموت يأتي على كل نفس . ٩) ما : اسم شرط في محل نصب مفعول به – العمر كالمال الذي تأخذ منه كل يوم شيئا لنفقتك . ومهما كان عمرك طويلا فانه يفنى مع الايام . ١٠) ابن عمي يلومني كما يلومني الغرباء « كقرط بن اعبد مثلا » . ١١) كأننا دفنا الخير.

على غيرِ شيء قلته غير انني ... نشَدت فلم أُغفِل حَمولة معْبَد (١) .

وقرّبت بالقُربى وجدِك انني ... متى يكُ أمرٌ للنكيثة اشهد (٢) .

وإن أُدعَ للجُلى اكن من حماتها ؛ ... وان يأتك الاعداء بالجهد اجهَد (٣) .

وإن يقذِفوا بالقَذع عِرضك اسقِهم ... بشرب حِياض الموت قبل التهدّد (٤) .

فلو كان مولايَ امرأ هو غيرُه ... لفرّج كربي او لأنظرني غدي (٥) .

ولكنّ مولاي امرؤ هو خانقي ... على الشكر والتسآل او انا مفتدي (٦) .

وظُلمُ ذوي القربى اشدّ مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهنّدا (٧)

فذرني وخُلقي إنني لك شاكرٌ ... ولو حلّ بيتي نائبًا عند ضَرغَد (٨) .

فلو شاء ربي كنتُ قيس بنَ خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مَرثَد (٩)

فأصبحت ذا مال كثير وزارني ... بنونَ كرامٌ سادةٌ لمسوَّد (١٠) .

---

١) معنى هذا البيت غامض ولعله يقصد ان اخاه لامه على قول الشعر فطلب به الابل التي كانت قد نهبت .
٢) تقربت اليك بما بيننا من قرابة . النكيثة : الحادث المفظع . اشهد : احضر واشترك في الجهاد .
٣) الجلى : الامر العظيم . الجهد: البلاء . اجهد : أجاهد معك . ٤) القذع : الشتم ، ثم يقول : اقتلهم قبل ان اتهددهم . ٥) مولاي : ابن عمي « يقصد ابن عمه مالكاً » . امرؤ هو غيره : مسهر ابن اصرم فيما قالوا . لفرج كربي : اعانني على ما انا فيه من الغم . لانظرني غدي : تأنى علي وصبر حتى استطيع ان افعل ما يريد في المستقبل . ٦)- يقصد: ولكن ابن عمي يجبرني على ان اشكره وان اسأله دائماً « حتى يعطيني من المال الذي هو لي عنده » او انه يرضى اذا افتديت نفسي منه بمالي « اي اذا تركت له مالي الذي هو عنده » . ٧) مضاضة : الم وحرقة . الحسام : السيف القاطع . المهند : صنع الهند . ٨) اي دعني اعيش كما احب . وسأظل شاكراً لك على كل حال حتى ولو ابتعدت عنك كثيراً . ضرغد : اسم مكان « يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى الشاعر » . ٩ و ١٠) قيس ابن خالد رجل من بني شيبان ، وعمرو بن مرثد ابن عم آخر لطرفة وكان غنيا وذا بنين وحفدة كثار . فلما سمع ذلك من طرفة استدعاه ثم امر ابناءه السبعة فأعطاه كل واحد منهم عشرة من الابل وامر ثلاثة فقط من احفاده ان يفعلوا مثل ذلك ، فتم لطرفة مائة من الابل .

انا الرجل الضَرْبُ الذي تعرِفونه   خَشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقّد (١).

فآليت لا ينفكُّ كَشحي بطَانة   لعضبٍ رقيق الشفرتين مُهنَّد (٢).

حُسامٍ اذا ما قمت منتصِراً به   كفى العودَ منه البدءَ ليس بمِعْضد (٣)

اخي ثِقةٍ لا ينثني عن ضريبة

اذا قيل: « مهلاً » قال حاجزه: « قَدي » (٤).

اذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتَني   منيعًا اذا بُلَّت بقائمه يدي (٥).

فان مِتُّ فانعيني بما انا أهله   وشُقّي عليَّ الجَيبَ يا ابنةَ معبد (٦).

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همُّه   كهمّي ولا يُغني غَنائي ومشهدي (٧)،

بَطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ الى الخنا   ذليلٍ، باجماع الرجالِ مُلهَّد (٨).

فلو كنت وَغلاً في الرجال لضرني   عداوة ذي الاصحاب والمتوحِّد (٩)

ولكن نفى عني الرجالَ جراءتي   عليهم، وإقدامي وصدقي ومَحْتِدي (١٠)

لعُمرك ما امري عليَّ بغُمة   نهاري، ولا ليلي عليَّ بسرمَدي (١١).

---

١) الفرب : الخفيف « الحركة » . خشاش ذو مضاء في الامور . المتوقد : الذكي النشيط. ٢) آلى : اقسم . كشحي : جانبي اي خصري . بطانة : ما يكون تحت الثوب . عضب : قاطع - اقسمت الا يفارقني السيف . ٣) معضد : سيف تمتحن به الشجر « مقص الشجر » . كفى العودُ من البدء : تكفي منه الضربة الاولى لتفعل فعلها . ٤) يقطع كل ما اصابه ولا يرتد عنه . واذا اراد الضارب به ان يتراجع في ضربته يقول المضروب به : حسبي « يعني : كفتني هذه الضربة او الجزء من الضربة: قتلت » . ٥) منيعاً : لا يوصل اليه . بلت : ظفرت به وتمكنت منه . ٦) يخاطب ابنة اخيه فيقول لها : اذا مت فاذكريني بما استحق واحزني علي . ٧) ولا تعامليني كرجل ليست له همتي . يغني : يفيد ويدفع الحوادث . المشهد : حضور القتال وغيره . ٨) بطيء نعت امرىء . الخنا : القبيح من القول والعمل . باجماع الرجال ملهد : يطرده الرجال عنهم، وهم يدفعونه بايديهم . ٩) الوغل: الضعيف الخامل . المتوحد: المنفرد « يقصد عداوة الجماعة والافراد » . ١٠) المحتد : كرم الاصل . ١١) غمة : حيرة . سرمد : ابدي - لا تتملكني الحيرة في اعمالي نهاراً ولا يطول علي الليل « لانني اجد مخرجاً من كل هم او مصاب ينزل بي » .

ويوم حبست النفس عند اعترا كها — حفاظاً على عوراته والتهدد (١)،

على موطن يخشى الفتى عنده الردي — متى تعترك فيه الفرائص تُرعد (٢).

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً — ويأتيك بالأخبار من لم تُزود (٣)،

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له — بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد (٤).

لعمرك ما الايام الا مُعارةٌ — فما اسطعت من معروفها فتزوّد (٥).

عن المرء لا تسأل وابصِرْ قرينَه — فان القرين بالمقارن مُقتدي .

---

١) وكم من حرب صبرت النفس فيها وقاتلت حتى لا اعاب ولا أترك مجالا للعدو ان يهددني
٢) الفريصة : عضل بين الثدى والجنب ، وارتعاد الفرائص كناية عن الخوف ، والموطن هنا كناية عن الحرب . ٣) تزود : تعطيه زاداً « طعاما او اجراً » ٤) لم تبع له بتاتا : لم تشتر له طعاما : لم تعطه اجراً ». ٥) ايام الحياة عارية لن تدوم لك فاستفد منها ما قدرت عليه .

النابغة الذُّبياني

توفي نحو عام ١٨ قبل الهجرة ٦٠٤ م

هو زياد بن معاوية بن ضُباب .. بن غَيظ بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريْث بن غطفان ، من قيس عَيْلان بن مضر . وذبيان وعبس أخَوان وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان . وقد قيل ان النابغة كان احد الاشراف في قومه .

وسمي بالنابغة ، فيما قال الرواة ، لانه قال الشعر بعد ان تقدمت به السن ، وقيل لانه اكثر من قوله الشعر ، وقيل بل لانه قال في بعض شعره : « فقد نبغت لهم منا شؤون » .

واتصل النابغة ببلاط الحيرة ليمدح المنذر الثالث بن ماء السماء ، بعد ٩٢ ق.ه. (٥٣٠م) . ويظهر ان النابغة غادر البلاط حينما جاء عمرو (بن المنذر الثالث) بن هند (٦٨ — ٥٣ ق.ه ، ٥٥٤ — ٥٦٩ م) لانحيازه الى تغلب على بكر في حادثة عمرو بن كلثوم والحارث حِلِّزة ، وقد قال فيه النابغة ابياتا مطلعها :

مَن مبلغٌ عمرَو بن هند آيةً ومن النصيحة كثرة الانذار .

وعاد النابغة الى الاتصال ببلاط الحيرة بعد موت عمرو بن هند في ايام اخويه قابوس والمنذر الرابع ، وقد حكما مدة يسيرة . على ان النابغة عرف بانه شاعر النعمان « الثالث » ابن المنذر « الرابع » وهو المعروف بابي قابوس ، وقد كان آخر ملوك الحيرة وحكم اثنتين وعشرين سنة من ٣٧ الى ١٥ ق ه « ٥٨٥—٦٠٧م » .

ونال النابغة عند النعمان حظوة عظيمة ونال من عطاياه وجوائزه مبلغاً جسيما حتى انه كان يأكل في صِحاف الفضة والذهب ، ولقد حرك ذلك حسد بعض اعدائه فيقال انهم صنعوا على لسانه ابياتاً في هجاء النعمان . وقيل بل كان النابغة في مجلس النعمان ، ومرت المتجردة امرأة النعمان ، فاتفق ان سقط نصيفها (لثامها) فسترت وجهها بذراعها وانحنت على الارض ترفع النصيف بيدها الاخرى . فطلب النعمان

من النابغة ان يذكر هذه الحادثة في قصيدة يصف فيها المتجردة فعمل النابغة قصيدته :

امنِ آل مية رائحٌ او مُغتدي : عجلانُ ذا زادٍ وغيرُ مزوّد .

فقال فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتّقتنا باليد .

بمخضّبٍ رَخص كأن بَنانه عنَمٌ على اغصانه لم يُعقد(١) .

ثم بدأ يصفها حتي ذكر اموراً لا يجوز ذكرها ، فانتهز اعداء النابغة الفرصة واوغروا عليه صدر النعمان . ويظهر ان النعمان اصغى للوشاية فخاف النابغة على نفسه وهرب الى بلاط الغساسنة فمدح احد امرائهم النعمان بن الحارث الاصغر ورثاه ، وكذلك مدح اخاه عمرو بن الحارث الاصغر . ونحن نعلم ان هذين الاميرين عاشا وتوليا الملك بين ٥٨٣ و ٦١٤ ولكننا لا نعلم تواريخ ملكهما بالتدقيق لاضطراب الاحوال السياسية في جميع تلك الحقبة .

خصائصه

النابغة شاعر حضري لانه عاش اكثر حياته في بلاط الحيرة وبلاط جلّق عند المناذرة والغساسنة ، من اجل ذلك تجد في بعض شعره رقة الحضارة من فصاحة في اللفظ وعذوبة وسهولة في التركيب ، بالاضافة الى شعراء البادية كامرىء القيس وطرفة . واحتج من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بانه كان اوضحهم معنى ، وابعدهم غاية « أي يتطلب معانيَ جديدة بعيدة عن تلك التي ألفها الشعراء » كثير الفائدة (اي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد ابن رشيق فقال (١ : ٨١–٨٢) : « كان احسنهم ديباجةَ شعرٍ ، واكثرهم رونق كلام ، واذهبهم في فنون الشعر ، واكثرهم طويلة جيدة (اي ان قصائده الطوال جياد) واحسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) .. وكان زهير والنابغة من عبيد الشعر ، . . . يتكلفان اصلاحه ويشغلان به حواسّهما وخواطرهما . . . بالتنقيح والتثقيف » .

---

١) العنم : ثمر احمر ، اشارة ان بنانها (رؤوس اصابعها) مصبوغة بلون احمر .

وقد عرف الجاهليون هذه المزايا الفنية للنابغة فكان بعضهم يحتكم اليه في سوق عكاظ ، فمن الذين احتكموا اليه حسّان بن ثابت الانصاري « شاعر الرسول فيما بعد » والخنساء تُماضُر بنت عمرو الشريد ، وهي ايضاً شاعرة مخضرَمة.

فنونه

النابغة اكثر اهل الجاهلية فنونَ شعر :

١ — المديح

مدحَ النابغة تكسباً حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقـاد. قال ابن رشيق (١ : ٢٦ و ٦٤) : « وانما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثلما يضع من قدر الشريف الكامل، وانه اسنى مروءة الدني، وادنى مروءة السريّ ... وذلك إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مُدح به مثلما يضع (يخفض) من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً ، كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان (النابغة) اشرف بني ذبيان . هذا ، وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم ... وكانت العرب لاتتكسب بالشعر ، وانما يصنع احدهم ما يصنع فُكاهة او مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها الا بالشكر ، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المُعَلّى:

أقر حشا امرىء القيس بن حُجْر بنو تيمٍ مصابيح الظلام

لان المعلى احسن اليه واجاره حينما طلبه المنذر بن ماء السماء . . . حتى نشأ النابغة فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر — وكان قادراً على الامتناع منه بمَن حوله من عشيرته او من سار اليه من ملوك غسان — فسقطت منزلته . وتكسب (النابغة) مالا جسيماً حتى كان اكله وشربه في صحاف الذهب والفضة ، واوانيه من عطاء الملوك » .

ولا ريب في ان المديح فن حضري لا بدوي ، لان عزة البدوي تأبى عليه التكسب بالمديح الا اذا تحضر وانكسرت فيه سورة البداوة كحال النابغة

والاعشى ، او إذا كان حضرياً في الاصل كحسان بن ثابت.

وقد خص النابغة بمديحه المناذرةَ ملوكَ الحيرة والنعمان ابا قابوس على الاخص، ثم الغساسنة ملوك الشام . وفي مديح النابغة اغراض حضرية كوصف الصيد للهو ووصف السفر في النهر والمبالغة في خلع الصفات على الممدوح والغزل الرقيق .

فمن امثلة مديحه الجيد قوله يمدح عمرو بن الحارث الغساني بعد ان هرب من النعمان وجاء الى جِلِق :

كِليني لهمٍّ يا أُميمةَ ، ناصبِ ... وليلٍ ، أُقاسيه ، بطيءِ الكواكب (١)

تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يَهْدي النجومَ بآيب (٢)

وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همه (٣) ، ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب .

عليَّ لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب (٤) .

حلفت يميناً غيرَ ذي مثنويةٍ (٥) ، ... ولا عِلْمَ الا حسن ظنٍّ بصاحب .

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت ... كتائبُ من غسّانَ غير أشايب (٦) .

بنو عمّه دنيا وعمرو بن عامر ، ... اولئك قوم بأسهم غير كاذب (٧) .

إذا ما غزَوْا بالجيش حلّقَ فوقهم ... عصائبُ طَيرٍ تهتدي بعصائب (٨) .

جوانحُ قد أيقنَّ أنّ قبيلهُ ، ... إذا ما التقى الجمعان ، أولُ غالب (٩) .

---

١) كليني : اتركيني ، دعيني . حق « اميمة» ان تكون مبنية على الضم لانها منادى مقصود بالنداء ولكنها رويت بالفتح (راجع الاغانى ١١ : ١٦–١٧) ناصب : منصب ، متعب . بطيء الكواكب : طويل ، لا تغرب نجومه بسرعة . ٢) التي تهدي النجوم : النجوم التي تطلع « تظهر» في اول الليل . آيب : راجع الى مسقط رأسه « غائب » . ٣) اعاد الليل اليه همه الذي كان قد نسيه في النهار . ٤) لم يلحقها مَنٌّ ولا اذى. ٥) لا استثني فيها شيئاً . ٦) اشايب : اخلاط – يقصد ان الغازين من بني غسان فقط . ٧) دنيا : بنو عمه الاقربون . بأسهم غير كاذب: لا جبن فيه . ٨) عصائب جمع عصبة : جماعة . ٩) جوانح : مائلات .

لهن عليهم عادةٌ قد عَرَفْنَها
إذا عُرّض الخطّيُّ فوق الكواثب (١) .

على عارفات للطعان عوابس بهن كُلوم بين دامٍ وجالب (٢)

إذا استُنزِلوا عنهن للطعن أرقلوا الى الموت إرقال الجمال المصاعب (٣)

فهم يتساقَوْنَ المنيَّة بينهم بايديهم بيضٌ رقاق المضارب .

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب (٤) .

تُورِّثنَ من أزمان يوم حليمةٍ الى اليوم قد جُرِّبن كلَّ التجارِب (٥) .

تَقُدُّ السلوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُه وتُوقد بالصُّفّاح نارَ الحُباحب (٦)

لهم شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرهم من الجود والاحلام غير عوازب (٧) .

محلتهم ذات الآله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب (٨) .

رقاق النعال طَيِّبٌ حجزاتُهم يُحَيَّوْن بالريحان يوم السباسب (٩) .

تُحَيِّيهمُ بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الأضريج فوق المشاجب (١٠) .

---

١) اذا وضعت الرماح مستعرضة امام القربوس « مقدمة السرج » — دلالة على ذهابهم الى الغزو

٢) عارفات : صابرات . كلوم : جروح . دام : الجرح الدامي الجديد . جالب : الجرح القديم الذي برؤ ولكنه ترك اثراً . ٣) اذا اشتدت الحرب والتحم المتحاربون نزلوا عن خيولهم . ارقلوا : اسرعوا في الصعود — كناية الى استماتتهم في القتال ٤) فلول : ثلوم . القراع : القتال .

٥) يوم حليمة : معركة انتصر فيها الغساسنة على المناذرة في سهل قنسرين « شمالي سورية » .

٦) السلوقي : الدرع المنسوب الى سلوقية «؟» وتقدح الشرر في الصخر القاسي . نار الحباحب : الشرر الذي يتطاير من فرقعة المواد المحترقة . ٧) شيمة : عادة . الاحلام : العقول . عوازب : بعيدون .

٨) محلتهم ذات الاله ؟ . العواقب : العواقب الحميدة . ٩) رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة ، لا يحملون نعالهم صفيقة بل رقيقة . حجزاتهم : ما يحجز بين بيوتهم ، كناية عن العفاف . السباسب : عيد الشعانين . ١٠) الولائد جمع وليدة : الجارية . الاضريج : الحرير الاحمر ، الارجوان . المشجب : ما تعلق عليه الثياب — يعني انهم يوم عيدهم ينشرون اثواب الحرير « يزينون بها » . وتقف الجواري ثم تحييهم عند مرورهم .

يصونون أجساداً قديماً نعيمُها ... بخالصة الاردان خضر المناكب (١)

ولا يحسَبونَ الخير لا شرَّ بعده ... ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازب (٢)

٢ ـ الاعتذار :

وكذلك الاعتذار في شعر النابغة ميزة حضرية لا بدوية ، فان عنترة او طرفة ما كانا ليعتذرا او يذلّلا انفسهما كما فعل النابغة ــ ولو كانت التهمة صحيحة . ان موقف النابغة امام النعمان موقف متذلل خائف لا يريد ان يغضب النعمان حتى لا تنقطع عنه صِلاته وعطاياه . انه لا ينكر التهمة انكار رجل عزيز النفس او انكار رجل بريء جريء ، ولكنه يحاول ان يتعطف النعمان بكل سبيل لاظهاره نفسه دائماً انه لا يجسر على ان يقول مثل هذا الكلام الذي نسب اليه ، ثم يجعل نفسه في كل ذلك « عبداً » يتقبل القصاص برضى او ينتظر العفو من سيد متفضل . وهو يكثر من الأيمان المغلّظة ان الناس صنعوا ذلك على لسانه او كذبوا عليه فيه . ومع ان النابغة قد حط من مقدار نفسه في هذه القصائد من الناحية الُخلقية ، فانه قد وهب الادب العربي فناً جديداً : انه حذق التعبير عن موضوع جديد ، وفتح امام الشعراء المتأخرين باب « العتاب السياسي » .

اما ابرز اعتذارياته فهي التي تلي :

أتاني ، أبيتَ اللعنَ ، انك لُمتني ... وتلك التي أهتمُّ منها وانصَبُ (٣)

فبتُّ كأنَّ العائدات فرشن لي ... هراساً به يُعلى فراشي ويُقشب (٤)

---

١) اردانها « رؤوس الاكمام فيها » بيض ، وما على اكتافها اخضر ، قيل انها على مثال ثياب الملوك . ٢) ضربة لازب : دائم ، ثابت ــ يعتقدون ان كل حال تتبدل ، فيكون بعد الخير شر ، او بعد الشر خير .

٣) ابيت اللعن : كرمت عن ان تأتي امراً تلعن به . اهتم منها : يصير لي منها هم . انصب : اتعب .
٤) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : نبت له شوك . يقشب : يخلط ويجدد ــ أتألم كأني نائم على فراش من شوك .

حلفتُ ، فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً ، وليس وراء الله للمرء مذهب (١) .
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عني خيانةً لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ .
ولكنني كنت امرأً لي جانب من الارض فيه مُستراد ومذهب (٢) :
ملوك واخوان اذا ما أتيتُهم أحكّمُ في أموالهم وأُقرَّبُ .
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .
فلا تتركنّي بالوعيد كأنني الى الناس مَطْليّ به القارُ اجرب .
ألم ترَ ان الله أعطاك سُورة ترى كل مَلْك دونها يتذبذب (٣)
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ .
ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمُّه على شعَث . اي الرجال المهذّب (٤) .
فان أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمته ، وان تكُ ذا عُتبى فمثلك يُعتِبُ (٥) .

ثم نجده في هذه القصيدة التالية يعيد ما قاله من قبل ، ولكنه يزيد في اظهار تذلله وتظلمه ، ولا يغفل في كل ذلك عن ان يُنوِّه بعطاء النعمان مما يدل على انه يحرص على عطاء النعمان اكثر من حرصه على رضاه :

أتاني ، أبيتَ اللعنَ ، انك لُمتني وتلك التي تستكّ (٦) منها المسامع :
مقالةَ ان قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع (٧) .

---

١) حلفت يميناً «بالله» لا يترك في نفسك شكا في صدقي ، وليس ثمة يمين اعظم من اليمين بالله .
٢) مستراد : مكان اروده « اذهب اليه » — كان لي مكان تعودت الذهاب اليه . ٣) سورة : منزلة . يتذبذب : يضطرب — يجهد الملوك ان يبلغوا منزلتك فلا يستطيعون .
٤) الشعث هنا العيب او النقص . تلمه : تضمه اليك — اذا كنت لا تصاحب احداً فيه عيب فقدت جميع اخوانك ، وهل في الارض رجل كامل ؟ ٥) العتبى : الرضى — انا عبدك فان كنت قد ظلمتني فقد قبلت اثامنك هذا الظلم ، وان كنت انا مذنباً فمثلك من يعفو . ٦) تنسد ، تصبح صماء — شيئتني اصبت بالصمم ولم اسمع انك لمتني . ٧) تلقاء : عند . رائع : مخيف ، مفزع .

لَعَمْري ، وما عَمري عليّ بِهَيِّنٍ ، لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليّ الاقارع (١).

أقارع عَوْف لا أُحاول غيرها . وجوه قرود تبتغي من تجادع (٢).

اتاكَ امرؤ مستبطن لي بَغْضَةً له من عدوّ مثل ذلك شافع (٣).

أتاك بقول هلهلِ النسجِ كاذبًا ، ولم يأتِ بالحقّ الذي هو ناصع (٤).

أتاكَ بقول ، لم أكن لاقولَهُ ولو كُبِلَتْ في ساعِدَيَّ الجوامع (٥).

حلفت ، فلم أترك لنفسك ريبة ، وهل يأثمْ ذو أُمة وهو طائع (٦).

بمصطحبات من لصاف وثَبرة يزرنَ إلالاً سيرهنّ التدافع (٧).

عليهن شُعْثٌ عامدون لحجهم ؛ فهنّ كاطراف الحَنِيّ خواضع (٨).

حملتَ علي ذنبه وتركته ،
كذي العَرّ يُكوى غيره وهو راتع (٩).

فمن كان لا يهوى هواك فقُطِّعت سرابيل من نار له وبراقع (١٠).

فان كنتُ لا ذو الضِغن عني مكذِّب ولا حَلفي على البراءة نافع ،

ولا انا مأمون بشيء أقوله ، وانت بامر لا مَحالةَ واقع (١١).

---

١) العمر « بفتح العين» الحياة وهو للقسم – اي احلف بحياتي انا ، وذلك عزيز علي. ٢) اقارع عوف : بنو قريع بن عوف وهم الذين وشوا به الى النعمان. لا احاول « لا اتهم» غيرهم . جادعه: شاتمه وسابّه. ٣) مستبطن: مضمر . من عدو : من عدو لي . شافع : معين . ٤ و ٥) هلهل : سخيف ، رقيق . ولو قيدت يداي بالجوامع « الاغلال» . ٦) اثم يأثم : اكتسب ذنباً . امة : دين .

٧) مصطحبات : تصطحب معها الحجاج . لصاف وثبرة : مكانان في ديار ضبة. الالال قمة في جبل عرفات بمكة . سيرهن التدافع : مسرعات . ٨) الشعر الاشعث : المغبر والذي على غير نظام . عامدون : قاصدون – اما النياق فهي نحيلة محنية « كالقوس » . خاضعة « اي منخفضة » ٩) تركت صاحب الذنب الاصلي واتهمتني انا ، كمثل الابل يكوى الجمل الصحيح « كيلا يعدى بالجرب» ، واما الجمل الاجرب فيترك بعيداً يرعى « ولا يكوى» . ١٠) لا يهوى هواك : لا يحب ما تحب انت – قطعت : فصلت « اي البس » . سربال : ثوب . برقع : غطاء للوجه . ١١) انت امام امر واقع –

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وان خلتُ ان المُنتأى عنك واسع (١):
خَطاطيفُ حُجنٌ في حبال متينة تمدُّ بها ايدٍ اليك نوازع (٢).
أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً ، وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع (٣)؟
وانت ربيع يَنعَش الناسَ سيبُه وسيف أُعيرَته المنية قاطع (٤)!

٣ ـ الهجاء (والشعر السياسي)

الهجاء في ديوان النابغة قليل ولكنه منقسم قسمين : هجاءً شخصياً وهجاءً قبلياً فمن هجائه الشخصي رده على الشاعر المشهور عامر بن الطفيل — وكان اصغر من النابغة — فهجاه بان صغّره وفضل عليه اباه وعمه وعيّره بالجهل والصبى فقال له :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مظنّة (٥) الجهل الشبابُ!
فكن كأبيك او كأبي بَراء توافقْك الحكومة والصواب.
ولا تذهبْ بحلمك طاميات (٦) من الخُيَلاء ليس لهن باب .
فانك سوف تحلُم او تَناهى (٧) اذا ماشبت او شاب الغرابُ.

اما هجاؤه القبلي ففيه فخر بنفسه وقومه ويمكن ان يسمى الهجاء القبلي (او الشعر السياسي) لانه يتعرض للاحزاب وللعصبيات . ثم ان الغاية منه ليس هجاء الشخص المخاطب بالهجاء في الدرجة الاولى ، بل تبيان فضل قبيلة الهاجي على قبيلة المهجوّ . وكان الاسلام قد حرم الهجاء القبلي لِمَا يذكي من العداوة ، ولكن الهجاء القبلي عاد فاتسع مع مجيء بني امية وتنازع الاحزاب على الخلافة .

١) مهما ابتعدت عنك فلا استطيع ان انجو منك ، لانك كالليل الذي يصل الى كل بقعة من الارض .
٢) خطاطيف : قطع حديد تعلق بها الاشياء . حجن : عوج . نوازع : جواذب . ٣) ظالع : جائر ، مائل عن الحق . ٤) السيب : العطاء .
٥) مكان ، اي الجهل يكون مع الشباب . ٦) المياه العالية : التيار . ٧) تحلم او تناهي : تصبح عاقلا او ينتهي اوان جهلك.

والنابغة يبدي دائماً اشفاقاً على المهجو ويسدي اليه النصائح مع شيء من التهديد والوعيد كما فعل في شأن زرعة بن عمرو بن خويلد حينما اشار عليه زرعة، وقد لقيه، بان تترك ذبيان حلف بني اسد، فابى النابغة. فجعل زرعة يتوعد النابغة، فقال النابغة:

نُبِّئتُ زُرْعَةَ والسفاهةُ كاسمها (١) يُهْدي إليَّ غرائبَ الاشعار (٢).
فحلفت يا زُرعَ بن عمرو انني ممن يشق على العدو ضِراري (٣).
أرأيت يوم عُكاظَ حين لقيتني تحت العَجاج فما شققت غُباري (٤)؟
إنّا اقتسمنا خُطّتينا بيننا: فحملتُ بَرّةَ واحتملتَ فَجارِ (٥).
فلتأتينك قصائدٌ، وليدفعن جيشٌ اليك قوادمَ الاكوار (٦).
رَهطُ ابن كوزٍ مُحقبي أدراعِهم (٧) فيهم، ورهط ربيعةَ بن حُذار.
وبنو قُعَين لا مَحالةَ إنهم آتوك غيرَ مُقلّمي الاظفار.
حولي بنو دُودان لا يعصونني وبنو بَغيضٍ كلهم انصاري.

٤ ـ الرثاء

والرثاء في ديوان النابغة اقل من الهجاء فيه. ورثاء النابغة لا عاطفة فيه، بل هو باب من مديحه، وقد تجد فيه شيئاً من الحكمة كقوله في رثاء صحار اخيه لابيه وامه:

لا يُهنئ الناسَ ما يرعَوْن من كلإ وما يسوقون من اهلٍ ومن مال،
بعد ابن عاتكةَ الثاوي على أبوَى أضحى ببلدةِ لا عمٍّ ولا خال.

---

١) السفاهة «قبيحة» كأسمها. ٢) يهجوني. ٣) الضرار: المقابلة بالضرر ـ انني اذا رددت على هجائك بهجاء، كان هجائي أشد. ٤) نافستني في سوق عكاظ في قول الشعر فلم تستطع ان تقول مثل شعري ٥) برة: البر والوفاء. فجار: الفجور والغدر ـ انت دعوتني الى الغدر ببني اسد فلم اقبل فكنت انا بذلك باراً وكنت انت غادراً. ٦) قوادم الاكوار كناية عن ركوب الابل ـ يعني سيغزونك. ٧) محقبو ادراعهم: واضعين دروعهم خلفهم استعداداً للقتال.

سهل الخليقة مشّاء باقدحه   الى ذوات الذرى حمّال أثقال (*).

حسب الخليلين نأيُ الارض بينهما: هذا عليها وهذا تحتها بالي!

وقصيدة الرثاء عند النابغة قصيدة جاهلية فيها اطلال ونسيب ووصف للناقة ومديح ورثاء وتأمل في الحياة. فالرثاء اذن عند النابغة لا يزال غرضاً من اغراض القصيدة لا فن قائم بنفسه. قال النابغة يرثي ابا حجر النعمان بن الحارث الغساني:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازلُ.

وكيف تَصابي المرء والشيْب شامل (١)؟

وقفت بربع الدار قد غيّر البلى   معارفَها والساريات الهواطل (٢).

أُسائل عن سُعدى، وقد مرّ بعدنا   على عرصات الدار سبع كوامل (٣)

وسلّيت ما عندي بروحة عِرمس   تَخُبُّ برحلي تارة وتُناقل (٤).

فلا يُهنِئ الاعداء مصرعُ مَلْكهم،   وما أعتقتْ منه تميم ووائل (٥).

وكانت لهم ربعية يحذرونها   إذا خضخضَت ماءَ السماء القبائل (٦).

يسير بها النعمان تغلي قدوره   تجيش بأسباب المنايا المراجل (٧).

يقول رجال ينكرون خليقتي   لعلّ زياداً، لا اباك، غافل (٨).

أبى غفلتي أَني اذا ما ذكرته   تحرّك داءٌ في فؤادي داخل.

وأن تلادي، ان ذكرت، وشِكتي   ومهري، وما ضمّت اليّ الانامل

*) يحمل نصيبه من لحوم الابل في لعب الميسر الى ذوات الذرى (؟) ويخدم الناس.

١) حملتك على الجهل «طيش الصبا». ٢) المعارف: العلامات التي نعرف بها الاشياء. الساريات الهواطل: السحب المطرة. ٣) العرصه: باحة الدار. سبع «سنوات» كاملة. ٤) العرمس: الناقة الشديدة. الخبب والمناقلة نوعان من سير الابل. ٥) اعتق: «هنا» نجا - بموته نجت قبيلتا تميم ووائل من الغزو. ٨) ربعية: غزوة في الربيع (الخريف) خضخضت ماء السماء القبائل: اذا بدأ الناس يستقون الماء من الآبار بعد انقطاع المطر ٧) يضطرم الموت في قدوره ومراجله «صدور الجيش»؛ ٨) يقولون ان النابغة «زياداً» نسي النعمان بعد موته.

حِباؤكَ ، والعِيسُ العتاقُ كأنها ... هِجَانُ المها تُخدى، عليها الرحائل (١).

فانْ كنتَ قد ودّعتَ غير مُذمّمٍ ... أواسيَ مُلكٍ ثبّتته الاوائل (٢).

فلا تَبعَدَنْ (٣) ، ان المنيَّةَ مَنهَلٌ ، ... وكلُّ امرىءٍ يوماً به الحالُ زائلُ !

فما كانَ بين الخيرِ لو جاء سالماً ... ابو حُجُرٍ ، الا ليالٍ قلائل (٤).

فان تَحيَ ، لا أملَلْ حياتي ، وانْ تَمُتْ ... فما في حياةٍ بعد موتك طائل (٥).

فآبَ مُصَلُّوه بعينٍ جليَّةٍ ... وغُودر بالجَوْلانِ حزمٌ ونائل (٦).

سقى الغيثُ قبراً بين بُصرى وجاسمٍ ... ثوى فيه جودٌ فاضلٌ ونوافل (٧).

بكى حارثُ الجولانِ من فقد ربِّهِ ... وحُورانُ منه مُوحشٌ متضائلُ (٨).

سجوداً له غسّانُ يرجون أوْبَه ... وتُركٌ ورهطُ الأعجمين وكابُل (٩)

٥ - الوصف

وصف النابغة حضري ، وهذا ما يميزه من وصف اكثر الشعراء الجاهليين، فلقد عاش النابغة في المدن (في الحيرة وفي جِلّق) اكثر مما عاش في البادية . وكان شاعر بلاط يعيش في الترف ويعاشر الملوك والامراء . ومع ان الوصف لم يكن عند النابغة فناً مستقلا فانه كان بلا ريب غرضاً بارزاً في قصائده .

واذا نحن صرفنا النظر عن بعض الاغراض الجاهلية في الوصف عنده كوصف الاطلال

---

١) الشكة : السلاح . الحباء : العطاء . العيس العتاق : النياق الكريمة الاصل . هجان المها : الظباء البيض . تحدى : تساق . الرحائل جمع رحالة : السرج . ٢) اواسي : الدعائم . ٣) ندبة الميت، كأنهم لا يصدقون انه مات فيقولون له لاتبعد ولا تهلك . ٤) لو لم يمت لجاءنا منه خير «عطاء» سريع . ٥) فائدة . ٦و٧) مصلوه : دافنوه ، راجع قوله تعالى في سورة الحاقة « ٦٩ : ٣١-٣٢» خذوه فغلوه . ثم الجحيمَ صلوه . عين جلية : خبر واضح (بموته) . نائل : عطاء . النوافل : العطايا . ٨) حارث الجولان : المزارعون في سهل الجولان . ربه : ملكه . وجبل حوران اوحش بعده وتضاءل «صغر» . ٩) غسان فاعل سجوداً . اوبه : رجوعه وهي هنا عطاؤه . كابل : بلاد افغانستان — يقول كان كل الناس يرجون خيره .

ووصف الناقة ووصف المطر ووصف الليل ووصف الصيد ، فاننا لا نستطيع الا ان نشير الى بعض الاوصاف الحضرية كوصف ايام العيد ووصف الجيش الذاهب الى الحرب ووصف الليل وقدمرت نماذجها في ما اخترناه من قصائده في المديح والاعتذار .

واما وصف الناقة وتشبيهها بالثور الوحشي ، ووصف الصيد ووصف المطر وسقوط البَرَد ووصف دجلةَ الهائجةِ بما برز في شعر النابغة بروزاً خاصاً فترى نماذجه في معلقته الدالية . وللنابغة وصف حسي بارع تراه في اغراضه التي عددناها وتراه في وصفة للحية :

صِلٌ صفا لا تنطوي من القِصَرْ ، طويلة الإطراق من غير خَفَرْ (١).

داهيةٌ قد صَغُرَتْ من الكِبَرْ ، كأنما قد ذهبَتْ بها الفِكَرْ (٢).

مهروتة الشِدْقين حولاء النَظَرْ تفترُّ عن عوجٍ حِدادٍ كالإبر (٣).

ولا ريب في ان النابغة من اوصف شعراء الجاهلية ان لم يكن اوصفهم . وعلى الاخص اذا علمنا ان تنوع الوصف الصق بالاغراض الحضرية منه بالاغراض البدوية .

٦ — النسيب والغزل والمجون

وهذه ايضاً تغلب عليها عند النابغة خصائص الحياة الحضرية ، فالنسيب قد يكون عنده تقليديا ولكنه رقيق ناعم عذب فصيح الالفاظ سهل التراكيب يمس العاطفة كما ترى في مطلع قصيدته في رثاء النعمان بن الحارث الغساني . وكذلك يظهر نسيبه وغزله حضرياً رقيقاً دقيقاً اشد تأثيراً في العاطفة واصدق تعبيراً عما يريد الشاعر كما يظهر في مقدمة قصيدته التي عدها ابو زيد القرشي (٤) في المعلقات :

عوجوا فحيُّوا لنُعْم دِمنَةَ الدار . ماذا تحيون من نؤْي واحجار (١)؟

---

١) حية صخرية قصيرة جداً تخفض رأسها كثيراً ولكن ليس من الحياء « اذا لدغت الحية وارادت ان تفرغ سمها من انيابها قلبت رأسها». ٢) داهية : الامر العظيم ، المصيبة — اذا كبر الانسان جفت الغضاريف التي بين خرزات عموده الفقري فقصرت قامته. ٣) واسعة الفم ، ينفتح فمها عن انياب عوج حادة ٤) جمهرة اشعار العرب ، المطبعة الرحمانية ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م ، ص ٧٧) . ٥) عوجوا : ميلوا ، اعطفوا رؤوس مطاياكم الى . النؤي : الخندق الذي يحفر حول الخيمة ليمنع تسرب الماء اليها .

وقفت فيها، سَراةَ اليوم أسألها   عن آل نعم، أُمونًا عَبْرَ اسفار (١).

فاستعجمت (٢) دار نعم لا تُكلِّمُنا   والدار لو كلمتنا ذات اخبار.

وقد أراني ونعماً لاهِيَيْنِ بها   والدهر والعيْشُ لم يهمُمْ بإمرار (٣)

ايامَ تخبرني نعمُ وأخبرها   ماا كتَم الناس من حاجي (٤) واسراري

لولا حبائلُ من نعم علِقت بها   لأقصر القلبُ عنها أيَّ إقصار (٥).

فان أفاق لقد طالت عمايته.   والمرء يُخلق طوراً بعد أطوار (٦)

نُبِّئْتُ نُعماً على الهِجران عاتبةً،   سَقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري (٧)

رأيت نعماً واصحابي على عجل   والعِيس للبين قد شُدَّت باكوار (٨).

فريع قلبي وكانت نظرةٌ عَرَضَت   حَيْناً، وتوفيقَ أقدار لأقدار (٩).

بيضاء كالشمس وافت يومَ أسعُدها   لم تؤذِ أهلا ولم تُفْحش على جار ١٠

والطيب يزداد طيباً ان يكون بها   في جِيد واضحة الخدَّين معطار.

تُسقِي الضجيعَ، اذا أستسقى، بذي أُشُر،   عَذْبِ المذاقة بعد النوم، مِخْمار (١١).

كأنَّ مشمولةً صِرفاً بريقتها   من بعد رقدتها او شهد مشتار (١٢).

(١ سراة: وسط. امونا: ناقة قوية «وهي مفعول به من وقفت». عبر اسفار: كثيرة السفر مقتدرة عليه. ٢) خرست. ٣) اراني: لا ازال اتخيـــل اني الهو مع نعم في تلك الدار. الامرار: المرور والذهاب. ٤) حاجاتي. د) لارعوى ورجع وصحا. ٦) الانسان يتقلب في حياته ويتطور. ٧) زرى: عاب وعاتب. ٨) وضعت الرحال على العيس «النياق» للرحيـــل. ٩) ريع: أخيف. في المراجع «نظرة» منصوبة - والاصوب ان تكون مرفوعة «فاعل كان». حيناً: موتاً «وهو مفعول به من عرضت». ١٠) تقول فحشاً «سوءاً». ١١) اشر: خطوط «في الاسنان» دلالة على نظافتها من كل مادة هلامية عليها. حلو الرائحة والمذاقة حتى حينما تستيقظ من نومها. مخمار: يفعل فعل الخمر. ١٢) المشمولة: الخمر الباردة. صرفاً: غير ممزوجة بالماء. الشهد «بالفتح والكسر والضم» العسل. اشتار العسل: قطفه.

أقول والنجم قد مالت أواخره … الى المغيب: تثبَّتْ نظرةً حارِ (١).
ألمحةً من سنا برق رأى بصري ، … ام وجهُ نعم بدا لي ام سنا نار ؟
بل وجه نعم بدا والليل معتكر … فلاح من بين أثواب وأستار .
ان الحُمُول ، التي راحت مهجِّرةً … يتبعن كل سفيه الرأي مِغيار ، (٢)
نواعمٌ مثل بيضات بمحنية … يحفُفْن نَفْليم في نقاً هار (٣).
إذا تغنى الحمام الوُرق هيَّجني … ولو تغرَّبت عنها أمَّ عمار .

٧ – الادب والحكمة والقصص

ومع ان النابغة ليس مشهوراً بالحكم كزهير، وليس في شعره حكم كما في معلقة طرفة ، فان له ابياتاً تخلق بالاستشهاد. وبما انه حكمه مستمدة من الاختبار الطويل فهي من اجل ذلك اوثق صلة بحكم زهير منها بحكم طرفة . من ذلك كله كقوله :

ولستَ بمستبق أخاً لا تَلُمُّه … على شعَثٍ ، اي الرجالُ المهذبُ ؟

*فان يك عامر قد قال جهلاً … فان مظنَّة الجهل الشبابُ …

*المرء يأمل ان يعيش ، وطولُ عيْش قد يضُرُّه
تفنى بشاشته ، ويبقي بعد حلو العيش مُرُّه ،
وتخونه الايامُ حتى لا يرى شيئاً يسرُّه .

---

١) حار : ترخيم حارث – يا حارث . ٢) الحمول : النساء الراكبات على الابل . مهجرة : في نصف النهار . مغيار: شديد الغيرة – يقول الشاعر هؤلاء النسوة يتبعن رجلاً الذي انتقل بهن من هنا لانه يغار عليهن . سفيه الرأي : ضعيف الرأي

٣) نواعم خبر ان في البيت السابق . وهن يشبهن بيض النعام التي بيضت على جانب الوادي ثم قام على حضنها الظليم «ذكر النعام » في تلة صغيرة من الرمل . الهاري والهائر : الذي ينهار تحت الاقدام ، غير متماسك . الورق جمع ورقاء : حمامة . ام عمار : محبوبة الشاعر .

كم شامتٍ بي إنْ هلكتُ وقائلٍ لله دَرّهُ !

ويلحق بباب الادب (الحكمة) باب القصص ، وذلك ان النابغة يضرب احياناً في شعره امثالا ويسوقها سَوقاً قصصياً . وله في ذلك قطعة مستقلة هي مثل الرجل والحية . فقد زعموا ان حية قتلت رجلا في حديث طويل فجاء اخوه الى مكانها واراد ان يقتلها انتقاماً لاخيه . فخرجت اليه وقالت له : انني ندمت على قتل اخيك وسأدفع لك دِيَتهُ ، ديناراً كل يوم ، فكانت تأتيه مرة بعد مرة بدينار . فلما اغتنى عاد فذكر ثأر اخيه فاعد فأساً وجاء الى جحرها ليقبض الدينار . فلما خرجت عاجلها بضربة فأس اصابت طرف ذنبها فقطعته ولكنها نجت . . . وبعد مدة اراد ان يصالحها على ان ينسى هو ثأر اخيه وتنسى هي محاولة غدره بها وان ترجع فتؤدي اليه ديناراً كل يوم ، فقالت له : ما دمت انت ترى قبر اخيك امام عينيك وانا ارى اثر فأسك في ذنبي فلا سبيل الى الصلح . وامثال هذه الخرافة نادر في الشعر الجاهلي . قال النابغة :

وإني لألقى من ذوي الضغن منهمُ ،

وما أصبحت تشكو من الوجد ساهرهْ (١) ،

كما لقيتْ ذاتُ الصفا من حليفها ،

وما انفكّت الامثال في الناس سائره (٢) .

فقالتْ له : « ادعوكَ للعقل وافراً ولا تغشَيّني منك بالظلم بادره » (٣)

فواثقها بالله حين تراضيا ، فكانت تريه المال غِبّاً وظاهره (٤) .

فلما توفّى العقلَ الا أقلّه (٥) وجارت به نفس عن الخير جائره .

تذكّر أنّى يجعل الله جُنّةً ، فيصبحَ ذا مال ويقتل واتره (٦) .

١) التي اسهرها المشق ؟ ٢) الحية ٣) العقل : الدية . بادرة : اعتداء ٤) الظاهرة : نصف النهار . الغب : يوماً بعد يوم - كانت تؤدي اليه كل يومين ديناراً ٥) اخذ اكثر الدية . جارت : حادت ، مالت ، ضلت ٦) الجنة : الستر - كيف يمكن للحية ان تنجو منه .

فلما رأى ان ثَمَّرَ الله ماله ، واثّل موجوداً ، وسد مفاقره (١).
أكبَّ على فأس يُحِدُّ غرابها مذكرة من المعاول باتره (٢).
فقام لها من فوق جحر مشيَّدٍ ليقتلها او يخطىء الكفُّ بادره (٣).
فلما وقاها الله ضربة فأسه. وللبرّ عين لا تغمّض ناظره (٤)!
فقال: « تعالي نجعلُ الله بيننا على مالنا ، او تُنجزي لي آخره».
فقالت: « يمين الله افعلُ ، إنني رأيتك غدّاراً يمينك فاجره (٥).
أبى لي قبر لا يزال مقابلي ، وضربةُ فأس فوق رأسي فاقره (٦)!»

---

١) ثمر : اكثر «المال». أثل : ادام «البنيان» . سد مفاقره: سد وجوه فقره ، اغناه ٢) غراب الفأس : حدها . يحدها: يشحذها ، يسنها . مذكرة : وضعت الذكرة «بضم فسكون» وهي قطعة من الفولاذ ، في راسها. باترة: قاطعة — الفأس المذكرة : الشديدة الصلبة والتي عولجت حتى اصبح طرفها القاطع كالفولاذ. ٣) الجحر : المأوى المحفور في الارض . يخطىء الكف بادره : اي لا يضرب في الوقت المناسب . ٤) وقاها : حفظها . البر : «هنا» الله . ٥) لا افعل ، فان لا النافية تحذف بعد القسم عادة ٦) الفاقرة : التي تكسر فقار الظهر «عظام السلسلة الفقرية» .

معلقة النابغة

نظم النابغة معلقته هذه بعد ان فارق النعمان بن المنذر ابا قابوس الى بلاط الغساسنة عام ٣٢ ق.ه(٥٩٠م) فهو يمدح فيها النعمان ويعتذر اليه عما سبق للواشين ان رَمَوْه به . ولا ريب في ان المعلقة امتن شعر النابغة واكثره نضجاً واجمعه لاغراض الشعر في ديوانه ، ففيها وصف للاطلال مفصل ووصف للناقة دقيق ، وفيها وصف للصيد الحضري وفيها مديح واعتذار وقصص، وفيها وصف لنهر الفرات . — ومع شهرة هذه القصيدة بانها المعلقة فان ابا زيد القُرشي قد ذكرله « عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار » على انها المعلقة . اما الزَوْزني فلم يذكر النابغة قط في « شرح المعلقات السبع » . ولكن هذه القصيدة ادل شعر النابغة على خصائصه وفنونه وشاعريته :

يا دار ميَّةَ بالعلياء فالسنَدِ ، اقوتْ وطال عليها سالفُ الابدِ(١) .

وقفتُ فيها أصيلاً(٢) كي أسائلها ، عيَّت جوابًا. وما بالربع من أحد

الأ الاواريَّ ، لأيا ما أبيّنها . والنؤيَ كالحوض بالمظلومة الجلد(٣) .

ردَّتْ عليه اقاصيه ، ولبَّده ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأد(٤) .

خلَّتْ سبيلَ أتيٍّ كان يحبسه ، ورفَّعته الى السِجْفَين فالنَضَد(٥) .

أضحت خلاءً ، وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَد(٦) .

---

١) خلت من اهلها . ٢) العصر : منتصف الوقت بين الظهر والمغرب . ٣) الاواري : معالف الخيل والاماكن التي تربط الخيل فيها . المظلومة : الارض . الجلد : الارض الغليظة لا حجارة فيها ٤) الوليدة : الجارية . المسحاة : المجرفة . الثأد : التراب الندي ٥) الاتي : السيل . السجف : الستر . النضد : متاع البيت . رفعته «هنا» قدمته ، قربته ٦) لقد محا آثار هذه الدار الدهر الطويل الذي اهلك لبد « وهو نسر للقمان ابن عاد عاش مائتي عام فيما قيل » .

فعدِّ عما ترى اذ لا ارتجاعَ له ، وانْمُ القتُودَ على عَيرانةٍ أُجُد (١).

مقذوفةٍ بدخيس النَّحْض ، بازلُها له صريفٌ صريفَ القَعْو بالمَسَدِ (٢).

كأن رَحلِي ، وقد زال النهارُ بنا يومَ الجليل ، على مُستأنسٍ وحِد (٣).

من وحش وَجرةَ ، موشيٍّ اكارعُه ،

طاوي المصير كسيف الصَّيْقل الفَرِدِ (٤).

سَرَتْ عليه من الجوزاء ساريةٌ تُزجي الشمالُ عليه جامدَ البَرَد (٥).

فارتاع من صوت كلَّاب فبات له

طَوْعَ الشوامت من خوف ومن صَرد (٦).

فبثَّهُن عليه ، واستمر به صُمْعُ الكعوب بريئات من الحَرَد (٧).

---

١) اترك هذا « وصف الاطلال» اذ لافائدة منه ، وارفع رحلك على ناقة قوية شديدة «يعني سافر»

٢) مقذوفة بدخيس النحض : ذات لحم مكتنز . البازل : سن يطلع للناقة اذا كملت قوتها . لهـذا السن صوت كصوت حبل من ليف يجري على بكرة من خشب «دلالة على شدة الصوت الذي تحدثه هذه الناقة » . ٣) زال النهار : اصبح الوقت بعد الظهر . الوحد : الحيوان المتوحش العائش في البرية. المستأنس : المقترب من مكان الانس ، من الحضر « ويكون عادة كثير النفور مضطرباً ». الجليل: اسم موضع . ٤) موشي اكارعه : قوائمه مخططة خطوطاً سودا وبيضا. طاوي المصير «المصران» :ضامر البطن . الصيقل : صانع السيوف . الفرد : الوحيد - اذا كان للصيقل سيف وحيد فهو يشحذه دائماً فيصبح رقيقاً جداً . ٥) امطرت عليه سارية « سحابة » تزجي: ترسل ، تساقط . الشمال : ريح الشمال. جامد البرد : قطرات الماء المتجمدة « البرد» . ٦) ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب . طوع الشوامت : اي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولا يستطيع ان يتحرك او يهرب لمـا يشعر به من الخوف والبرد . ٧) فبثهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر به صمع الكعوب : استمرت قوائمه ثابتة في مكانه «لم يهرب» . الصمع جمع اصمع : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظام . بريئات من الحرد : لا اعوجاج فيها .

وكان ضُمران منه حيث يوزِعه   طعنَ المُعارِكِ عند المُحجَرِ النَجُدِ (١).

شكّ الفريصة بالمِدرى فانفذها   شكّ المبيطر اذ يشفي من العضَد (٢).

كأنه خارجًا من جنب صَفحته   سَفّود شَرْبٍ نسوه عند مُفتأد (٣).

فظلّ يعجُمُ اعلى الرّوق مُنقبضاً

في حالك اللون صدقٍ غيرَ ذي أَود (٤).

لما رأى واشقٌ اقعاص صاحبه   ولا سبيلَ الى عقْلٍ ولا قوَد (٥)،

قالت له النفس: «إني لا ارى طمعاً .   وإنّ مولاك لم يسلم ولم يصِد» (٦).

فتلك تُبلغني النُعمانَ . إن له

فضلًا على الناس في الادنى وفي البُعُد (٧).

ولا أرى فاعلا في الناس يُشبهه   ولا أحاشي (٨) من الاقوام من أحد،

إلاّ سليمانَ ، إذ قال الآله له   قُم في البرِيّة فأحدُدها عن الفنَد (٩).

---

١) ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . المحجر : المأزق، المكان الضيق «في الحرب». النجد : الشجاع ، وهي نعت للمعارك – حينما ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو منه ، اخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليبعده عنه ٢) الفريصة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة . المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جانب فيخرج من الجانب الاخر . المبيطر : طبيب الدواب . العضد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفاذ ميـــل من جانب الى جانب في صدر الدابة ثم بادخال ضمران في ذلك المكان فيخرج من طرفيـه صديد لمدة معينة ٣) الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . مفتأد : مكان شي اللحم – يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم الكبيرة المشكوكة بسيخ حديد ٤) يعجم : يعض . الروق : القرن . منقبضاً : ملتويا . حالك، اسود . صدق : صلب . اود : اعوجاج – لعلها ، في حالك اللون صدقاً غير ذي اود ، ومعناها ، اسوّد لون الكلب من سيلان دمه ومع ذلك فقد ظل مجتهداً في عض قرن الثور ولم يتعب ٥) واشق: إسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول ٦) طمعاً : طمعاً بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك ٧) تلك ، اي الناقة التي لها هذه الصفات . الادنى والبعد : الاقربين والابعدين ٨) استثني ٩) احددها : امنعها . الفند : الخطأ والخطل .

وخيّس الجنَّ ، إني قد اذِنتُ لهم   يبنون تدمُرَ بالصُفّاح والعَمَد(١) .

فمَن أطاعك فانفعْه بطاعته   كما أطاعك ، وادْلُلْهُ على الرشَد .

ومن عصاك فعاقبه معاقبةً   تنهى الظلومَ ، ولا تقعُد على ضَمَد (٢)

الا لمثلك ، او من انت سابقه

سبقَ الجواد إذا استولى على الامد (٣) » .

اعطى لفارهةٍ حلوٍ توابعُها   من المواهب لا تُعطى على نكد(٤) .

الواهبُ المائةَ الابكارِ زيّنها   سَعْدان توضحَ في اوبارها اللِبَد(٥) ،

والساحباتِ ذيولَ الريْطِ فنّقها   برد الهَواجر كالغزلان بالجرد (٦) ،

والخيلَ تَمزَعُ ، قُبّاً ، في أعنّتها

كالطير تنجو من الشُؤبوب ذي البَرَد (٧) ،

والأُدمَ قد خُيّست ، فُتلًا مرافقُها ،   مشدودةً برحال الحيرة الجُدُد (٨) .

واحكمْ كحكم فتاة الحيّ اذ نظرتْ   الى حمام سِراعٍ وارد الثَمَد (٩) .

---

١) خيس : ذلل ، استخدم . الصفاح : الحجارة العريضة . العمد : الاعمدة . ٢) تقعد على ضمد : تصبر على الضيم او الحقد . ٣) الامد : الغاية – الا لمن كان في درجتك من الفضل ، اولمن كنت اعلى منه بقليل . ٤) الفارهة : المطية الحسنة الكريمة او الفتية . حلو توابعها : كل ما يتبعها جيد . نكد : كره ، وضغن . ٥) الابكار جمع : بكر « بفتح الباء » الجمل الصغير . وفي رواية المعكاء : الغلاظ الشداد . السعدان نبت ذو شوك . توضح اسم مكان . اللبد : الكثة الكثيفة . ٦) الساحبات ذيول الريط : الجواري اللابسات الحرير . فنقها : طيب عيشها وجعلها منعمة . برد الهواجر : اللجوء في وقت الظهر الى مكان بارد . كالغزلان بالجرد : يبدون جميلات كالغزلان التي لا يستر حسنها شيء . ٨) تمزع : تسرع . قبا جمع اقب : حصان ضامر البطن . في اعنتها : بأرسانها . الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر . ٨) الادم جمع ادماء : الناقة البيضاء . فتلا مرافقها : قوائمها بعيدة عن صدرها . مشدودة الخ : عليها سروج جديدة من صنع الحيرة . ٩) فتاة الحي : هي زرقاء اليمامة وكانت حديدة البصر . الثمد : الماء . احكم : كن حكيما .

يحفُّه جانبا نِيقٍ ، وتُتبعه … مثلَ الزجاجة لم تُكحَل من الرمد (١)

قالت : « ألا ليتما هذا الحمامُ لنا … الى حمامتنا ونصفه فقدِ (٢) .

فحسَّبوه فألفَوْه (٣) كما حسَبَت : … تسعاً وتسعين لم تنقُص ولم تزد .

فكمَّلت مائة فيهَا حمامتُهَا ، … وأسرعت حِسبةً في ذلك العدد .

فلا لعَمرُ الذي مسَّحت كعبته ، … وما هُريق على الانصاب من جسد (٤) ،

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ يمسحُهَا … رُكبانُ مكةَ بين الغَيْل والسند (٥) ،

ما قلتُ من سيءٍ مما أُتيت به ، … إذاً فلا رفعت سوطي اليَّ يدي (٦) !

اذاً فعاقبني ربي معاقبة … قرَّت بها عينُ من يأتيك بالفَنَد (٧) ،

هذا لأبرأَ من قولٍ قُذفت به … طارت نوافذه حرّاً على كبِدي (٨) .

أُنبئت أنَّ ابا قابوسَ أوعدني . … ولا قرارَ على زأرٍ من الاسد (٩) .

مهْلاً فِداءٌ لك الاقوامُ كلُّهمُ … وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولد .

لا تَقذِفنِّي بركنٍ لا كَفاءَ له … وان تأثَّفك الاعداء بالرَّفَد (١٠) .

---

١) يحفه جانبا نيق : يحده جانبا جبلين مرتفعين . مثل الزجاجة : كناية عن العين الصحيحة الصافية . لم تكحل من الرمد : لم تصب بالرمد فتحتاج الى الكحل . ٢) فقد : حسب « فقط » . ألفوه : وجدوه . ٤) اقسم بالذي مسحت كعبته «بيدي تبركا» اي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق . الجسد : الدم . ٥) المؤمن الذي امنها الا تصاد « اي الله » . العائذات : « الحمام » اللاجئات . يمسحها : يلمسها . ٦) مما اتيت به : ما نقله الواشون اليك . فلا رفعت سوطي الي يدي : دعوة على يده بالشلل . ٧) الكذب . ٨) القذف : التهمة . طارت نوافذه الخ : تفشت اقواله القاسية في كبدي . ٩) اوعد : توعد ، تهدد . — ولا اطمئنان مع سماع صوت الاسد . ١٠) لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا تجعل خصمي مقتدراً لا طاقة لاحد به (لا تكن انت خصمي) . كفاء : مثيل ، نظير . تأثفك : احاط بك . الاعداء : اعدائي . الرفد : المظاهرة ومساعدة بعضهم بعضاً للوشاية بي عندك .

فما الفراتُ، وان جاشتْ غواربه ترمي أواذيّه العبرين بالزبد «١»،

يَمُدّه كل وادٍ مُترَعٍ لَجِبٍ فيه حُطام من اليَنبوت والخَضَد «٢»،

يَظلُّ من خوفه الملّاحُ مُعتصماً بالخيزُرانة بعد الأيْنِ والنَجَد «٣».

يوماً بأجودَ منه سيبَ نافلةٍ ولا يَحولُ عطاءُ اليوم دون غد «٤».

هذا الثناءُ، فان تسمعْ لقائله فلم أعرِّضْ، أبيتَ اللعنَ، بالصَفَد «٥».

ها ان ذي عِذرةٌ إلّا تكن نفعت فانّ صاحبَها مُشاركُ النكد «٦».

---

١) جاشت : اضطربت . غواربه : اعالي الموج . الاواذي : الامواج . العبرين : الشطين . ٢) يمده : يصب فيه . واد : «هنا» السيل الجاري في الوادي . خطام : قطع « جرفها السيل » . الينبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والاغصان المتكسرة . ٣) الملاح : البحري. الخيزرانة: دفة المركب . الاين : التعب . النجد: العرق المنصبب من اجهاد الجسد ومن التعب . ٤) سيب نافلة : العطاء الزائد ، وهو اذا اعطى اليوم لا يمنع عطاءه غداً . ٥) الصفد : العطاء . – يقول : اثنائي عليك ولا اطلب (الآن) على ذلك عطاء . ٦) العذرة : الاعتذار . – واذا لم ترض عني فاني اظل حنكد العيش .

٤ ـ زهير بن ابي سُلمى

توفي نحو عام ١٤ ق ﻫ (٦٠٩ م)

اليس بعجيب ان ينادي رجل بالسلم في زمن كان
الناس يعتقدون فيه ان الحرب هي السبيل الوحيد
لاحقاق الحق ؟

١ – موجز ترجمته

يُعرف زهير بن ابي سُلمى بانه مُزَني ، نسبة في الاغلب الى جدة له كان اسمها مزينة، ومرجع نسبه الى غطفان من عرب الشمال وكانوا من ساكني نجد. وغطفان هو الجذم الذي ينتمي اليه بنو عبس وبنو ذبيان . وليس لنا من سبيل الى ان نعرف عن الرجل في مطلع حياته اكثر من ذلك .

ولكننا اذا راجعنا شعره – ومعلقته خاصة – نعلم ان اسماء الاماكن التي يذكرها معروفة في ارض غطفان في شمال الحجاز : فالمتثلم تلة هناك او واد . والدرّاج حَرّة – ارض بركانية – في الاغلب في ذلك الجوار . واما الرقمتان فواحتان على مقربة من يثرب . ومن هذا كله نعلم ان زهيراً عاش في شمالي الحجاز على اطراف نجد . ونلاحظ من المعلقة ايضاً انه كان لزهير زوج اسمها ليلى وكنيتها « ام اوفى » ولدت له اولاداً عدة ، ماتوا كلهم صغاراً . ثم تزوج بعد ذلك امرأة اخرى هي ام ولديه كعب وبُجير ،فغارت من ذلك ام اوفى وآذته فطلقها. فلما انكشف عنه الغضب احب مراجعتها فأبت فقال :

لقد باليت مظعن أمِّ اوفى ولكنْ أمُّ أوفى لا تبالي ¹

وعُمِّر زهير حتى بلغ تسعين عاماً او تزيد .

٢ – حرب داحس والغبراء

اما اهم حادث اثر في نفس زهير ، ثم ترك آثاراً في ديوانه كله فهو حرب داحس

---

١) راجع مجلة الامالي (بيروت) السنة الثانية ، العدد الخامس ، ص ١٠–١٣ .

والغبراء ، وهي مناوشات ملأت اربعين عاما (٥٤ - ١٤ قبل الهجرة اي من ٥٦٨ - ٦٠٨ للميلاد) ولكنها جعلت من زهير صاحب معلقة ومن هرِم بن سنان والحارث بن عَوف علمين في عالم السلام وفي تاريخ الادب. اما سبب هذه الحرب فموجز فيما يلي :

كان داحس فرساً كريماً سريعا ولكنه غير فارهٍ (لا يدل منظره على كرم اصله) فجرى ذكره ذات يوم في حلقة من القوم ، فاشاد بـه نفر وحقره آخرون وانتهى بهم الامر الا ان عقدوا رهاناً (لم يعلم به صاحب داحس) على الصورة الآتية:

يُنزل قيس بن زهير العبسي داحساً والغبراء (فرسين له مذكراً ومؤنثاً) ويُجري رجل من غطفان فرسين ايضاً ، ويكون المدى مائة غلوة (٣٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠) ذراع ، والهدف ذات الإِصاد . اما الحكَمُ فجعلوه رجلا من ثعلبة . وجعلوا علامة السبق ان يصل الجواد السابق الى بركة معينة ويكرع فيها .

وكمن قوم من بني فَزارة من (غطفان) عند ثنية بين المبتدأ والهدف . فلما بدا داحس - وكان السابق - عرفوه فامسكوه . ثم اتت الغبراء وراءَه مصلّية (ثانية) فلم يعرفوها فيمسكوها. وظل الفزاريون ممسكين داحساً حتى مضت الخيل واستهلت من الثنية فاطلقوه فراح يركض ويتخطى الخيل واحداً واحداً الا الغبراء « وداحس والغبراء لرجل واحد » ، ولو طال المدى لسبقها ايضاً . ومع هذا كله فقد وصلت الغبراء سابقة وداحس مُصلياً او ثانياً . الا ان الفزاريين اعترضوهما مرة ثانية قبيل الهدف وردوهما عن البركة .

وطلب العبسيون « حزب داحس والغبراء » حقهم من الرهان وقدره عشرون من الابل فلم يعطهم الفزاريون شيئاً. ولم يستطيع العبسيون القتال ساعتئذ وليس معهم غير ابيات قليلة « اي لم يكن معهم من انصارهم الا عدد قليل) . غير ان الحرب نشبت فيما بعد بين فزارة وعبس ، ثم جُرّت اليها قبائل اخرى من غطفان . ولقد دامت العداوة والمناوشات بين القوم اربعين عاماً فيما يزعمون . ولكن يجب الا نعتقد ان القتال ظل ملتحما اربعين سنة ، بل ان العداوة فقط دامت تلك السنين .

اما القتال فكان بين الفينة والفينة فقط . ولم يكن عدد القتلى عظيما جداً كما نتخيل نتيجة لحرب تدوم هذا العدد الكثير من الاعوام .

٣ — الصلح سبب المعلقة

قيل ان الحارث بن عوف المري خطب بيهسة بنت اوس بن الحارث العبسي في حديث طويل جداً . وكان الحارث سيداً في قومه ، واوس بن الحارث معروفاً بالعزة . ولقد كان من امر بيهسة انها ابت ان يبني بها الحارث قبل ان يمشي بالصلح بين القوم . وهكذا مشى الحارث بالصلح وساعده في غايته رجل آخر من قبيلة بني مرة وهو هرم بن سنان. فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلاها الا ما زاد ، فاحتمل هرم والحارث الديات الزائدة فكانت ثلاثة آلاف من الابل وفّوها في ثلاثة اعوام. وهكذا وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها، وعلا اسم هرم والحارث في تاريخ الحرب والسلم ، وعلا معهما اسم زهير بن ابي سلمى .

٤ — زهير في رأي الرواة والنقاد

أ — زهير احد الثلاثة «امرؤ القيس ، زهير ، النابغة» المقدمين على سائر الشعراء.

ب — قال جرير : شاعر اهل الجاهلية زهير .

ج — قال عمر بن الخطاب (رضه) : زهير شاعر الشعراء . . . كان لا يعاظل في الكلام « يداخل بعضه في بعض » ، وكان يتجنب وحشي الكلام ، ولم يمدح احداً الا بما فيه . . . ولا يقول الا ما يعرف .

د — قال محمد بن سلاّم الجُمَحي : ان من قدّم زهيراً احتج بانـــه كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سُخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح مع الاحتياط حتى لا يخرج بمعانيه الى الغلو ، كقوله :

لو كان يقعُدُ فوق الشمس من احد قومٌ باحسابِهم او مجدهم قعَدوا .

فتفطن الى قوله «لو» .

وكان زهير اكثر الشعراء «الجاهليين» امثالا في شعره ، على ما ترى في ختام معلقته.

هـ - قال ابن الاعرابي : كان لزهير ما لم يكن لغيره : كان ابوه شاعراً ، وخاله « بشامة » شاعراً ، واختاه سلمى والخنساء شاعرتين ، وابناه كعب وبجير شاعرين .

و - كان زهير من عبيد الشعراء لانه من الذين ينقحون مـا ينظمون ولا يذهبون به مذهب المطبوعين الذين يرسلونه على السجية والفطرة .

٥ - ميزات زهير

اذا قبلنا اقوال الرواة في زهير وجدناها تقرب من الحقيقة كثيراً . ولقدامتاز شعره بما يلي :

أ - **فصاحة الالفاظ** - كان زهير من ارغب الشعراء عن الكلمات الغريبة البعيدة عن المألوف . فقد كان يتجنب حوشي الكلام او وحشي الكلام ، وكلاهما بمعنى . على ان الفاظه كانت جزلة،نقصدبذلك انها تقع في مواقعها الصحيحة المخصوصة.

ب - **سهولة التركيب** - وكذلك كان زهير سهل التركيب « لا يعاظل في الكلام » لا يداخل بعضه في بعض عند التركيب ، فلا تبعد ابياته عن الفهم. على ان تراكيبه كانت بليغة تجري على اساليب العرب ، وكانت متينة لا ضعف في بنائها ولا غمز في صحتها ، فلقد كان ينقح مـا ينظم . زعموا ان قصائده تسمى الحوليات ، يقصدون انه ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، وينقحها في اربعة اشهر ، ثم يعرضها على اصحابه في اربعة اشهر . ومع ان في هذه الروايةمبالغـة لا يقبلها التحقيق في جميع قصائد زهير ولا في بعض قصائده ، فانها تدل بلا شك عـلى شدة عنايته بتنقيح ما ينظم .

ج - **بساطة الاسلوب** - وسبيل زهير في ايراد افكاره وعرض آرائـه بسيط للغاية ليس فيه تنميق ولا بعد متخيل - كما ترى عند امرىء القيس مثلا - .

د - **صدق القول** - تظهر روعة شعر زهير في صدقه اذا نظم . ومع ان الصدق في التعبير عما يجول في النفس ميزة من ميزات الشعر الجاهلي عامة فانه ميزة من ميزات زهير خاصة ، تعلم ذلك من مدحه لهرم بن سنان والحارث بن عوف ،

فانه لم يزد في مدحهما علـــى ذكر فضلهما على وقف الحرب . وهـــذا ما حدا بالنقادالى القول بانه لا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الابما هو فيه .ولذلك قال النقاد ان زهيراً اشعر الناس اذا رغب .

هـ - **النضج** - ومع ان زهيراً عمّـر طويلا ، فانه لم يترك ديواناً كبيراً. الا ان ما تركه من الشعر موسوم بالنضج وبالحكمة التي يخلقها التقدم في السن ، ولذلك قال النقاد انه اكثر الشعراء امثالا في شعره . فلا عجب اذن اذا رأينا زهيراً يقف في قومه واعظاً ونصيحاً يحضهم على السلم وينفرهم من الحرب .

فنونه واغراضه

ليس لزهير فنون مستقلة يعالجهـــا في قصائد او مقطعات خاصة ، ولكنْ له اغراض يجمع عدداً منها في كل قصيدة . واغراضه هذه تدور على ما يلي :

أ - **المديح** - واكثر مديحه في هرم بن سنان بن ابي حارثة احد صاحبي الصلح في حرب داحس والغبراء . وكان يمدحه اعجاباً به وبشهامته في تحمل ديات القتلى (مع الحارث بن عوف) . وأعجِبَ هرم بزهير فحلف الا يمدحه زهير الا اعطاه ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً. فكان زهير اذا رآى هرِماً في َملاٍ (جمع من الناس) قال: «عِمُوا صباحاً غيرَ َهرِمٍ ، وخيرَكم استثنيت !» وكذلك كان زهير متصلا بآل هرم من قبلُ فقد مدح والد هرم ورثاه.

واوجه المديح عند زهير القوة والشجاعة في الحرب ، ثم المجد والعز وكرم الاصل ، ثم الكرم وفعل الخير وحمـــل المغارم وتفريج الكرُبات ، ثم التقوى والخلق الجميل .

ب - **العتاب والوعيد والهجاء** - ولزهير عتاب قليل في امرأته ام كعب مثلا ، او في اقوام ظلموا غيرَهم ، وقلما كان يعاتب زهير احداً لامر شخصي . وكذلك لم يكن وعيده ولا هجاؤه شخصيين ولكن في سبيل القبيلة . وليس له في ذلك ميزة بارزة تميزه من غيره من الشعراء .

ج - **الوصف** - والوصف من اغراض زهير البارزة فهو يهتم كثيراً بوصف

الاطلال ووصف الراحلة (الناقة) ، وهو يصفُ الصيد ، ويحسن وصف الخيل في الحرب ووصف الحرب عامة . وله وصف في الخمر .

د - **النسيب والغزل** - وهو يجري فيهما على سنة الجاهليين في مطالع القصائد او في ثناياها ، على انهما عفيفان بخلاف ما عرفنا عند امرىء القيس وطرفة .

هـ - **الادب والحكمة** - اشتهر زهير بانه يقول في الادب والحكمة على قلة ذلك في ديوانه حتى بالاضافة الى طرفة . ولكن النُضج الذي وصل اليه زهير مكنه من ان يبدي آراءً له متزنة صائبة ، الا ان هذه الآراء مبنية على اختبار طويل وعِبرة مستمدة بما كان يرى الشاعر حوله ، ولذلك كانت من باب النصح والمواعظ وضرب الامثال .

هذه الحكم منثورة في قصائده . اما اكبر مجموع منها فموجود في ختام معلقته على اختلاف في عدد الابيات (حسب الروايات المختلفة)وعلى اختلاف في الترتيب ايضاً . وبينما كنت ترى ان حكم طرفة كانت حكماً شخصية ذات طابع خاص لانها تمثل آلامه في الحياة وتعبر عن رأيه هو فيها بصرف النظر عما يقبله المجتمع او لا يقبله ، كنت ترى حكم زهير عامة لا اثر للطابع الشخصي فيها (اللهم الا فضل التعبير عنها) ، وذلك لانها مستوحاة من الحياة الاجتماعية ومن اختبار البشر في حياتهم المتطاولة .

على ان حكم زهير كان آراء شيخ حكيم خبر الحياة وفرق بين مظاهرها وبين حقيقتها . انه لم ينخدع بالناس ولا بريائهم ، بل ادرك ان « السلطة » هي اساس النزاع بين البشر ، وان القوي مرهوب والضعيف مظلوم ابداً . ويعطف زهير على الحياة والموت فيبدي فيهما آراء تقرب من آراء طرفة في أنّ الموت يأتي على الجميع ولا يفرق بين احد. ولكن يبدوان زهيراً كان يؤمن بشيء من الخلود - اذا صحت نسبة البيت الذي يذكر ذلك له. على ان زهيراً لا يزال يعتقد بان الذي يفعل الخير لا يندم ، الا اذا كان قد فعله مع غير اهله ، اي مع من لا يستحق .

معلقة زهير بن ابي سُلمى

كان وردُ بن حابس العبسي قد قتل هَرِم بن ضمضم المري ، من بني ذبيان ؛ فتشاجرت عبس وذبيان قبل الصلح « الذي خُتمت به حرب داحس والغبراء » . فحلف الحصين بن ضمضم ، اخو هرم هذا ، الا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس او رجلا آخر من عبس ... ولم يُطلع على ذلك احداً . ثم اتفق ان نزل رجل من بني عبس على الحصين بن ضمضم « ضيفاً » ، فقتله الحصين .

اراد بنو عبس ان يقتلوا الحارث بن عوف المري ، احد الرجلين اللذين احتملا جميع الديات في قتلى حرب داحس والغبراء . فلما علم الحارث بذلك ارسل مائة من الابل مع ابنه الى بنى عبس وخيّرهم بين ان يأخذوا الابل دية قتيلهم وبين ان يقتلوا ابنه ... فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا وتم الصلح » . فقال زهير معلقته يمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان ويذكر صلح داحس والغبراء وامرَ الحصين ابن ضمضم .

تبلغ ابيات معلقة زهير حسب رواية ابي زيد القرشي في كتابه « جمهرة اشعار العرب » ٦٤ بيتاً مفصلة كما يلي :

١ — مقدمة المعلقة « ١-١٦ » يقف زهير على طلل امرأته ام أوفى في جوار يثرب بعد انقضاء عشرين سنة على انتقال ام اوفى عنه ، وقد أخذت الظباء وبقر الوحش تروح وتغدو عليه لطول ما هُجر . وليس من الغريب اذن ان نراه يقول « فلأياً عرفت الدار بعد توهم » . غير انه يستطيع — بعـــد انقضاء تلك السنين العشرين — ان يتبين حجارة المواقد، والحاجز الذي كان يرد الماء عن الخيمة . ثم يقف زهير الآن ويتخيل سير الظعائن — التي غادرت المكان قبل عشرين عاماً — من فوق جُرثم ، وهو ماء لمزينة . ثم يصف الهودج ويصف المسير ، ويمزج ذلك بشيء من النسيب « ١ » .

---

١) راجع ايضاً المعلقة كما وردت في شرح ديوان زهير بن ابي سُلمى ، صنعة الامام ابي العباس احمد ابن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، « مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م » .

أمنْ امّ أوْفى دِمنةٌ ، لم تَكلَّم ... بِحَومانة الدَّراج فالمتَثلِّم (١)؟

ديارٌ لها بالرَّقمتَين ، كأنها ... مراجيع وشم في نواشر معصم (٢).

بها العِين والآرام يمشين خِلفةً ، ... واطلاؤها ينهضن من كل مجْثم (٣).

وقفت بها من بعد عشرين حِجةً ... فلأْياً عرفت الدار بعد توهم (٤):

أثافيَّ سُفعًا في مُعرس مِرجل ، ... ونؤياً كجِذم الحَوض لم يتثلم (٥).

فلما عرفتُ الدار قلت لربعها : ... «ألا أنعم صباحاً ايها الربع واسلم» (٦)

تبصرّْ خليلي ، هل ترى من ظعائن ... تحمَّلن بالعَلياء من فوق جُرثُم (٧).

علون بانماط عِتاقٍ وكِلَّة ... وِرادٍ حواشيها مُشاكِهةِ الدم (٨).

جَعلنَ القَنان عن يَمين وحَزْنه ، ... وكم بالقنان من مُحِلٍّ ومُحْرِم (٩)!

ظهرن من السُّوبان ثم جزعْنَه ... على كل قَيْنيٍّ قَشيبٍ ومُفأَم (١٠).

وورّكن في السوبان يعلون مَتنه ... عليهن دَلُّ الناعم المتنعِّم (١١).

---

١) دمنة : آثار الدار ، طلل . تكلم : تتكلم . ٢) بالرقمتين : بين الرقمتين، كأنها بقايا وشم على يدٍ تجعدت بالسنين « الوشم يكون ابين على اليد البيضاء الملساء منه على اليد المجعدة » . ٣) خلفة: فوجاً بعد فوج . اطلاء جمع طلي : ابن الظبية . مجثم : مكان الجثوم : قعود الحيوان . ٤) حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توهم : ظن « ما عرفت مكان الدار بالتأكيد » . ٥) الاثافي « جمع اثفية » : الحجارة التي توضع عليها القدر « حجـارة الموقد » . سفعاً : سوداً . معرس : مكان . مرجل : القدر العظيمة . نؤي : خندق يحفر حول الخيمة . تثلم : تشقق . ٦) الربع : المكان الذي ينزل فيه البدو في ايام الربيع . ٧) ظعائن جمع ظعينة : المرأة المسافرة على الجمل . تحملن : ارتحلن ، سافرن . ٨) علون : ارتفعن على « هودج » فيه انماط «ثياب» عتاق « جيدة ، ثمينة » . الكلة : ستارة « ناموسية» . وراد : وردية اللون . الحواشي : الاطراف . مشاكهة : مشابهة . ٩) القنان اسم جبل . جزنه : قطعنه « وفي جميع الروايات : حزنـه ـ يعني سهله ـ ولكنه بعيد عن المعقول » . المحل : الساكن دائماً . المحرم : الساكن موقتاً . وقيل المحل : الذي ليست له حرمة ، عدو . والمحرم الذي له حرمة ، صديق . ١٠) السوبان اسم وادٍ . جزعتـه : قطعنه . قيني قشيب ومفأم : « رحل ، سرج : هودج » جديد واسع من صنع احـد بني القين ، يعني جيد الصنع .
١١) ورك : مال . متنه : ظهره . دل : دلال ، غنج . الناعم المتنعم : العائش في النعيم .

كأن فُتاتَ العِهْنِ في كل منزل نَزَلْنَ به حبّ الفنا لم يُحطم (١) .

بكَرْنَ بُكوراً واستحرْنَ بسُحرة فهن ووادي الرَّسّ كاليد في الفم (٢)

فلما وردن الماء زُرْقاً جِمامُه وضعن عِصِيّ الحاضر المتخِيِّم (٣) .

وفيهن مَلهىً للّطيف ومَنظرٌ أنيقٌ لعين الناظر المتوسّم (٤) .

تذكرني الاحلامَ ليلى ، ومن تَطُفْ عليه خَيالاتُ الأحبَّة يحلُم (٥) .

٢ . مدح هرم والحارث «١٧-٢٦» . وهنا يقفز زهير الى مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان فيرينا اياهما يشفقان على ما اصاب القبيلة من جرّاء الحرب ويسعيان الى السلام بعد ان كادت قبيلتا عبس وذبيان ان تتفانيا . ثم يبسط فلسفتها في استخدام الاقناع والمال في سبيل وقف الحرب :

سعى ساعيا غَيظِ بن مُرّة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم (٦) .

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال ، بَنوْه ، من قريش وجُرهُم (٧)

يميناً : لَنِعْمَ السيّدان وُجدتما على كل حال من سَحيل ومُبرمِ (٨) .

تداركتما عَبْساً وذُبيان بعد ما تفانوا ودقّوا بينهم عِطر مَنْشَم (٩) .

---

١) العهن : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب صغير احمر . يحطم : يكسر « يعني زين هؤلاء النسوة هودجهن بصوف احمر ، فكن كلما نزلن في مكان بقي فيه شيء من آثار هذا الصوف » .
٢) استحر : مشى في السحرة « آخر الليل » . كاليد في الفم : مستقيم السير لا يمكن ان يميل عن طريقه كما ان اليد لا تميل في طريقها الى الفم . ٣) جمام : اطراف . الحاضر : النازل في الحاضرة « المدينة » . ٤) انيق : جميل . المتوسم : المتطلع ، المتفرس . ٥) يحلم : يرى طيف حبيبته في منامه . ٦) الساعيان : المصلحان « الحارث بن عوف وهرم بن سنان » . تبزل : تشقق « يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، اي عبس وذبيان » . ٧) البيت : الكعبة . ٨) السحيل ضد المبرم : الحبل المفتول جداً « يعني في الرخاء وفي الشدة » . ٩) تفانوا : افنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضاً « اما تخريج هذا المثل فله روايات مختلفة » .

وقد قلتما: « ان نُدرِكِ السّلمَ واسعاً ... بمال ومعروف من الأمر نسلم! »
فاصبحتما منها على خير موطن ... بعيدَيْنِ فيها من عُقوق ومأثم،
عظيمين في عُليا مَعدّ هُدِيتما. ... ومن يَستَبِح كنزاً من المجد يعظُم!
فاصبح يجري فيهمُ من تِلادكم ... مَغانمُ شتى من إفال مُزنَّم (١).
تُعفَّى الكلوم بالمئين فاصبحت ... يُنَجِّمُهَا من ليس فيهَا بُمجرِم (٢).
يُنجِّمهَا قوم لقوم غرامةً ... ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلءَ مِحجَم (٣).

٣ ـ نصح المتقاتلين ووصف اهوال الحرب « ٢٧–٣٨ » . ويتخلص زهير الى نصيحة المتحاربين فيأمرهم بالاخلاص ونفض الصدور من الحقد والضغائن، لان الله يعلم كل شيء وان اخفيتموه .

ثم يمضي في وصف اهوال الحرب ونتائجها حتي يصورها اقبح صورةٍ واصدقها.

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة ... وذبيان: هل أقسمتُمُ كل مُقسَم (٤)
فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ... ليخفى . ومهما يُكتَمِ اللهُ يعلَمِ :
يُؤخَرْ فيوضعْ في كتاب فَيُدخَرْ ... ليوم الحساب، او يُعجَّل فيُنقَم .
وما الحرب الا ما علمتم وذُقتمُ ... وما هو عنهَا بالحديث المرجَّم (٥).
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتَضْرَ إذا ضرّيتموها فتضرَم (٦).

---

١) التلاد : الاموال الموروثة . الافال : اولاد الابل . مزنم ، جعلت له علامة في اذنه دلالة على اصله . ٢) تعفى : تمسح ، تمحى . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (اي بمائة جمل لكل قتيل) . ينجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب . ٣) .. ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم « اناء صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيبه بالموسى » . ٤) الاحلاف : المتحالفون وهم هنا بنو اسد وغطفان . ٥) المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن . ٦) تضرى : تهيج . ضرى النار : اججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتعل بشدة .

فتعرُكْكُمُ عَرْكَ الرحا بِثفالها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ثم تُنْتِج فتُتئِم (١) .

فتُنْتِج لكم غِلمانَ أشأمَ كُلُّهم ... كأحمرِ عادٍ، ثم تُرضِع فتَفْطِم (٢) .

فتُغْلِل لكم ما لا تُغِلُّ لاهلها ... قُرىً بالعراق من قفيز ودرهم (٣) .

رَعوا ما رعوا من ظِمْئهم ثم أوردوا ... غِماراً تَفَرَّى بالسلاح وبالدم (٤) !

فقَضَّوا منايا بينهم ثم أصدروا ... الى كلأٍ مُستوبلٍ مُتوخّم (٥) .

٤ — غدرة الحصين بن ضمضم « ٣٩-٤٧ » . هنا يعرض زهير لقضية الحصين بن ضمضم ، وهي ان وردَ بن حابس العبسيّ كان قد قتل هرم بن ضمضم . فلما احتمل الحارث بن عوف وهرم بن سنان دية القتلى في اثناء حرب داحس والغبراء ظن الجميع ان دية هرم بن ضمضم داخلة في ذلك، واعتبروا القضية كلها منتهية . الا ان الحصين بن ضمضم اخا هرم كان قد استتر وتواري كيلا يكونَ شهودُه الصلح اعترافاً ضمنياً منه بالعفو عن دم اخيه . وفي ذات يوم لقي الحصين رجلا عبسياً فقتله ثأراً لاخيه . فغضب بنو عبس وساروا يريدون قتل الحارث بن عوف وكادت الحرب تعود سيرتها الاولى . الا ان الحارث بن عوف تلافى المغبة بمئة جديدة من الابل غَرِمها من ماله ، حتى ساد السلام تاماً بين عبس وابناء عمهم بني ذبيان .

لَعَمري ، لَنِعْمَ الحيُّ جرَّ عليهمُ ... بما لا يؤاتيهم حُصَينُ بنُ ضَمْضَم (٦) .

١) عرك : طحن . الرحى : حجر الطاحون . الثفال : جلد يوضع تحت الطاحون « اي كما ينزل الحب طحيناً على الثفال » . تلقح كشافاً : تحمل كل سنة (باستمرار) . تنتج فتتئم : تلد توائم (تأتي بمصائب كثيرة) . ٢) تنتج وانتج بالبناء للمجهول: استولد « بالبناء المجهول » . اشأم : غلمان شؤم . احمر عاد فتى من ثمود نحر ناقة النبي صالح بعد ان نهي النبي قومه عن اذيتها ، فعاقب الله بذلك ثمود كلها . ٢) . . تغل لكم دماً وقتلا ومصائب اكثر مما تغل بلاد العراق الخصبة من الغلال والمال ، كانت الضرائب تجمع في العراق على كل نخلة مثلا او على كل مساحة معينة من الارض قفيزاً (كيلاً معينا) من التمر ودرهماً نقداً . ٤) الظمء : العطاش (مدة ما بين الشربتين للابل ، يقصد الهدنة) ، غمار : معارك . تفرى : تتفرى اي تتفجر . ٥) كلأ : عشب . مستوبل : فيه وبال اي هلاك . متوخم : وخيم العاقبة (بعد المعارك كان المتحاربون يتألمون من نتائج الحروب) .

٦) جر عليهم : جنى عليهم . يؤاتيهم : يوافقهم ، يفيدهم .

وكان طوى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ فلا هُوَ أبداها ولم يَتَقَدَّمِ (١).
وقال: «سأقضي حاجتي ثم أتّقي عَدُوّي بألفٍ من ورائيَ مُلْجَمِ» (٢).
فشدَّ، ولم يُفْزِعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيثُ ألقتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ: (٣)
لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مُقَذَّفٍ له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقَلَّمِ (٤)،
جَرِيءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمِهِ سريعاً، وإلّا يُبْدَ بالظُلْمِ يَظْلِمِ (٥).
لَعَمْرُكَ ما جَرَّتْ عليهم رِماحُهمْ دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ او قتيلِ المُثَلَّمِ (٦)،
ولا شارَكَتْ في الحربِ في دمِ نَوْفَلٍ ولا وَهَبٍ منها ولا ابنِ المُحَزَّمِ (٧).
فكُلّاً أراهم أصبحوا يَعْقِلونهم عُلالَةَ ألفٍ بعدَ الفٍ مُصَتَّمِ (٨):
تُساقُ إلى قومٍ لِقَومٍ غرامةً صَحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بِمَخْرَمِ (٩)،

١) الكشح : الجانب ، الخاصرة — طوى كشحا : كتم . مستكنة : ضغينة « مكتومة » . ثم لم يتقدم الى حضور الاجتماع ليطلب دية اخيه او ليأخذها . ٢) سأقضي حاجتي : سآخذ بثأري . أتقي عدوي : احتمي من عدوي . بالف ... ملجم : الف حصان « المقصود بالف من الفرسان».
٣) شد : هجم « وقتل العبسي » ، ونال وطره . لم يفزع بيوتا كثيرة : لم يشعر كثيرون بما صنع، لم يلفت اليه الانظار . ٤) شاكي السلاح : مسلح تسلحاً تاماً . مقذف : يقذف به كثيراً الى المعارك « ذو اختبار في الحرب » . اللبدة : شعر ينبت حول رقبة الاسد . له لبد : لبدته تامة ، كناية عن تمام بلوغه وقوته . اظفاره لم تقلم : لم تضعف قوته بعد ، لا يزال فتياً . ٥) اذا اعتدى عليه احد رد اعتدائه وانتقم منه ، واذا لم يبدأه بالاعتداء اعتدى هو عليه لعزة نفسه وقوته ، وذلك كان من المثل العليا عند الجاهليين . — وفي هذين البيتين والتي تليهما وصف للحارث بن عوف وهرم بن سنان.
٦) ان رماح الحارث بن عوف وهرم بن سنان «اللذين يدفعان ديات جميع القتلى من مالهما الخاص» لم تقتل ابن نهيك ولا الذي قتل في المكان المعروف باسم المثلم . ٧) ورماحهما لم تقتل نوفلا ولا وهباً العبسي ولا ابن المحزم «بفتح الزاي المشددة او بكسرها — ويروى المخزم بالخاء المعجمة والزاي معا».
٨) ومع ذلك فقد دفعوا ديات جميع هؤلاء القتلى اقساطاً من ابل صحيحة الخلقة . يعقلونه : يدفعون ديته . علالة : شيئا فشيئا . الف بعد الف : في كل عام الف جمل « لمدة ثلاث سنوات » . مصتم : تام الخلقة. ٩) المخرم: الطريق في الجبل. كان الحارث بن عوف وهرم بن سنان يرسلان اقساط الديات في كل عام مالا صحيحا« ابلا صحيحة الاجسام» بلا تأخير، مع ان مستحقيها كانوا يسكنون بعيداً عنهما (وراء جبال) .

لِحَيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ الناسَ أمرُهم ، إذا طرقت إحدى الليالي بمُعظِمِ (١) ،
كِرامٍ فلا ذو الضِغنِ يُدرِكُ تَبلَهُ ولا الجارمُ الجاني عليهم بُمسلَمِ (٢) .

٥ — حكم زهير « ٤٨-٦٤ » . تختلف الحكم في آخر معلقة زهير في ترتيبها وعدد ابياتها بين رواية ورواية. ولكنها على كل حال تنكشف عن «اصابة رأي» اكتسبها الشاعر من السنين الطوال التي عاشها ، فهي وليدة الزمن ونتيجة التقدم في السن ، ثم هي تَرِدُ في آخر المعلقة على غير نسق ولا نظام . غير انك تُعجَبُ ببعض هذه الابيات اذا تأملتها مفردة . ويجدر بنا ان نقول في هذا المقام ان هذه الحكم لاتحمل طابعاً شخصياً وانما هي من حكم الشعوب ودروس الزمان . ويجوز ان يكون بعضها منحولاً :

سَئِمتُ تكاليفَ الحياةِ ، ومن يعشْ ثمانين حولا ، لا أبا لكَ ، يسأمِ !
رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ ، من تُصِبْ تُمِتهُ ، ومن تُخطِئْ يُعمَّرْ فيَهرَمِ (٣) .
واعلمُ ما في اليومِ ، والأمسِ قبلَهُ ، ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عمِ (٤) .
ومَنْ لا يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأْ بَمَنْسِمِ (٥) .
ومن يكُ ذا فضلٍ فيَبخَلْ بفضلِه على قومه يُستَغنَ عنهُ ويُذمَمِ .
ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرضِهِ يَفِرْهُ ، ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشتَمِ (٦) .

١) حِلال : كثيرو العدد ، يعصم الناس امرهم : لهم جاه يحمون به الناس. طرقت : أتت فجأة . المعظم : الخطب ، المصيبة — ترسل الغرامات الى قوم حتى يسلموها الى اصحابها — الظاهر ان هذا البيت والذي يليه من صفة الذين ترسل اليهم الغرامــات . ولكن الاصوب ان تكون من صفة اللذين يدفعان الديات « الحارث وهرم » وصفة قومهما . ٢) كرام : عظماء متزهون ، لا يصل اليهم احد. لا ذو الضغن يدرك تبله عليهم : اذا اعتدوا على احد لم يستطع ان يدرك ثأره منهم . ولا الجــارم الجاني عليهم بمسلم : اذا جنى احد جناية ثم استجار بهم حموه ودافعوا عنه ولم يسلموه لغرمائه .

٣) رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء « الضعيفة البصر » . فمن اتفق له حادث موت مات صغيراً او شابا ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم . ٤) عم : اعمى . ٥) يصانع : يداري . يضرس : يمضغ . يوطأ بمنسم : يداس بارجل الابل .

٦) — من يبذل ماله ليصون عرضه يبقى عرضه موفوراً « كريما مصونا » . يتقي : يتجنب .

ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه ... يُهدَّمْ، ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظلَم (١).
ومَنْ هابَ اسبابَ المنايا ينَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسبابَ السماء بسُلَّم (٢).
ومن يَعصِ أطرافَ الزِجاج فانه ... يُطيعُ العواليَ رُكِّبت كلَّ لهذَم (٣).
ومن يوفِ لا يُذمَمْ، ومن يُهدَ قلبُه ... الى مُطمئن البِرّ لا يتجَمْجَم (٤).
ومن يغتَرِبْ يحسَبْ عدواً صديقَه . ... ومن لا يُكرِّمْ نفسَه لا يُكرَّم .
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة، ... وان خالها تَخفى على الناس، تُعلم (٥).
ومن يجعل المعروفَ في غير أهله ... يكنْ حمدُه ذماً عليه ويندم .
وكائنْ ترى من صامتٍ لك مُعجِبٍ، ... زيادتُه او نقصه في التكلم (٦) .
لسان الفتى نصفٌ، ونصفٌ فؤاده؛ ... فلم يَبقَ الا صورةُ اللحم والدم !

وهكذا يبدو لنا زهير في معلقته خاصة رجلا انسانياً جريئاً يحرص على ارواح قومه وآمالهم، مستعداً لان يتناسى شخصيته اذا استطاع ان يضيعها في سبيل رفع مثل اعلى امام الامم والاقوام . وهو لا يحرص على خير الافراد فقط بل يفضل خير القبيلة على ذلك . بل هو اوسع في نظره الى البشر، يحب ان يشمل بخيره القبائل اجمع . ولا شك في ان شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان قد ساعدته على ان يقف هذا الموقف . ويكفيه فخراً انه كان يجاهر بميله الى السلام وباعتقاده انه السبيل الصحيحة الى الحق في زمن كان كل فرد آخر يوقن ان الحرب وحدها هي التي تردُّ الحق الى نصابه .

---

١) — من لم يدافع عن حوض الماء « كناية عن المال والعرض ، لان الماء اثمن شيء في الصحراء » بالسلاح ، يهدم حوضه «لكثرة من يجيء اليه للاستقاء منه». ومن لا يعتد على الناس «يحاربهم» يعتد الناس عليه . ٢) ومن حاول ان يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة الى الموت « كالحرب والسفر والمرض » تناله تلك الحوادث او غيرها ولو صعد الى السماء . ٣) الزج : حديدة في كعب الرمح يشير بها الرجل اذا كان مسالما . العوالي : الرماح . لهذم : سنان الرمح ، اي الحديدة التي في اعلى الرمح ويشير بها الرجل اذا كان ينوي القتال — من لا يقبل السلم اذا عرض عليه يضطر الى خوض الحرب. ٤) اوفى : وَفى بالعهد. البر: التقوى وطاعة الاقربين . يتجمجم : يتردد . ٥) خالها : ظنها . ٦) ربما ابصرت رجلا صامتاً فاعجبك ، فاذا تكلم زاد مقامه في عينك او نقصت قيمته عندك .

٥ - عنترة بن عمرو بن شداد

توفي نحو عام ٨ قبل الهجرة - ٦١٤ م

قومه واسرته

عنترة عربي من جهة الاب ،فهو من بني عبس، ابناء عم بني ذبيان وخصومهم. اما امه فجارية حبشية في الاغلب اسمها زُبيبة ، فهو من اجل ذلك هجين (مختلط النسب) اسود ، ولذلك لم يُلحقه ابوه بنسبه، فظل عبداً على عادة العرب في ابنائهم من اولاد الاماء .

ونشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الابل محتَقراً في عين والده واعمامه وعين اخوته الذين ليسوا من امه ، ولكنه نشأ شديداً بطاشاً ، شجاعاً ، كريم النفس ، كثير الوفاء . وكان في صغره قد عرف « عبلة » ابنة عمه مالك ، فاحبها حباً جماً وطمع بان يبنيَ بها يوماً ما . ولكن عمه مالكاً كان كثير التعنت فلم يرض ان يزوج ابنته بعبد أسود .

الا ان آله ادركوا بأسه وشجاعته فأحبوا ان يستغلوهما في حرب اعدائهم وخصومهم فكانوا يحرّضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك ان يزوجوه بعبلة . فاذا انجلت المعركة وادرك العبسيون ثأرهم او نالوا مآربهم حرموا عنترة من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه بزواج عبلة .

واخيراً اغار حي من العرب على بني عبس غارة حملوا فيها كل شيء ، وسَبَوا عبلة ايضاً . فلما جاءه ابوه يستثيره لخوض الحرب، أبى وقال له : « العبد لا يحسن الكر ، بل يحسن الحِلاب والصَر (١) ». فقال له ابوه: « كر يا عنترةُ وانت حر». فلحق عنترة بالمغيرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان أباه استلحقه بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكن عمه مالكاً لم يرض ان يزوجه عبلة .

وعُمِّرَ عنترة طويلا ، وكانت له ايام مشهورات في حرب داحس والغبراء .

---

١) الكر : الهجوم على الاعداء . الحلاب : حلب النياق . الصر : ربط ضرع الناقة حتى لا يرضعها الفصيل «ولدها».

وحارب ايضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البعثة ، ٦١٠ م). فلما وصل خبر تلك المعركة الى الرسول قال : « هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم بحق ! »

وبعد بضع سنوات خاض العبسيون معركة مع بني طي ، فيما يقال ، سقط فيها عنترة قتيلا عام ٨ ق. ه (٦١٤ م). ولعله مات عَزَباً ، اذ هو بلا شك لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره ، كما يظهر من شعره هو .

عناصر شخصيته :

لا نستطيع اليوم ان نميز بين العناصر الحقيقية في شخصية عنترة التاريخية وبين العناصر التي أضافتها الخرافة الى حياة هذا البطل الشاعر . ولكن مما لا ريب فيه ان عنترة كان بطلا شجاعاً قوي الجسم ثَبْتَ الجنان. وكان فوق ذلك كريم النفس عفيفاً عن النساء ، عفيفاً عن مكاسب الدنيا المادية حتى عن غنائم الحرب التي كان هو يهبها لبني عبس بسيفه . وكان كريماً بما ملكت يداه ، يقري الضيف ويسقي الخمر . وكان ذا نجدة ينصر المظلوم والمستنجد به ، الا انه كان في كل ذلك يأبى ان يظلمه احد، وكل ذلك ظاهر في معلقته. وله في غير معلقته الشواهد المشهورة منها:

* ولقد أبيت على الطَوى وأَظَلُّه حتى أنالَ به كريم المأكلِ .

* وأغُضُّ طرفي ان بدت لِيَ جارتي حتى يواريَ جارتي مأواها .

اني امرؤ سَمحُ الخليقة ماجدٌ لا أُتبع النفسَ اللجوجَ هواها .

* ولكنْ تبعدُ الفحشاءُ عني كبعد الارض عن جو السماء .

ويجدر بنا الا نُهملَ تحليلا نفسياً لعنترة ذكره عنترة عن نفسه ، وقد تعجب بعضهم من شجاعته ، فقال : « كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزماً واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً الا ارى لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيفَ الجبان فاضربِه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه (على الشجاع) فاقتله » .

خصائصه وفنونه :

عنترة شاعر مقل اذا اعتبرنا الشعر الثابت له ، ولعل الناس لم ينحلوا شاعراً من

الشعر ما نحلوا عنترة ، اعجاباً بفروسيته ، وإشفاقاً عليه في حبه لعبلة وما لقي فيه من العذاب . وشعر عنترة اسهل من شعر طرفة وامرىء القيس والنابغة، حتى ان في بعضه ركاكة كقوله :

سكتُّ فغرَّ اعدائي السكوتُ   وظنوني لأهلي قد نسيت
وكيف أنام عن سادات قوم   انا في فضل نعمتهم ربيت
وان دارت بهم خيل الاعادي   ونادَوْني أجبت متى دُعيت .

على ان فيه رقة وسلاسة لاتجدها أحياناً في سائر الشعر الجاهلي وخصوصاً في المعلقة ، تأمل قوله فيها يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ   مني وبيض الهند تقطُر من دمي
فوَدِدتُّ تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبَسم .

* * *

طرق عنترة فنين من فنون الشعر : الغزل والحماسة . اما سائر الاغراض التي وردت في قصائده كالفخر والوصف وما الى ذلك فهي اما منطوية في باب الغزل والنسيب عنده او لاحقة بباب الحماسة .

١ — الغزل

غزل عنترة عفيف ، حلو في بعض الاحيان ، خشن في بعضها . وعنترة لا يجيد تحديث المحبوبة كامرؤ القيس مثلا ، او كعمر ابن ابي ربيعة ، لانه يحاول ان يجتذبها بذكر وقائعه امامها وبتخويفها من عاقبة ضربه وطعنه على ما في المعلقة ، او كقوله في مكان آخر :

يا عبلَ كم من غمرة باشرتُها   بالنفس ما كادت لعَمرُكِ تنجلي
فلربَّ أبلَجَ مثلَ بعلِكِ بادنٍ   ضخمٍ على ظهر الجواد مهبَّلُ (١) .

١) ضخم الوجه ، مورم الوجه .

غادرته متعفراً أوصاله . والقوم بين مُجرّحٍ ومجدّل(١) .

هذا من الناحية الادبية، اما من الناحية النفسية فيبدو ان المرأة عادة تُعجَب بالرجل القوي . ولقد عرف عنترة ذلك بسليقته ، ولكن ذكر اعماله والاكثار من الكلام عن البطش والدماء كان منفراً ، وكان بلا ريب من خصائص البداوة بخلاف حديث امرىء القيس لعنيزة فانه كان من احاديث الحضارة .

والغزل الخالص في شعر عنترة نادر ، تجد منه ابياتاً في المعلقة (دار لآنسة .. اذ تستبيك ... وكأنما نظرت بعيني ... الخ) او في قصيدته المعروفة بالعقيقية :

رفعوا القِباب على وجوه أشرقت فيها فغيَّبت السُهى في الفرقد(٢)

واستو كفوا ماء العيون بأعينٍ مكحولةٍ بالسحر لا بالإثمد(٣) .

يطلعن بين سوالفٍ ومعاطف وقلائد من لؤلؤ وزبرجد .

واما النسيب فكثير يدور كله حول التشوق الى عبلة والى تمني العيش معها وحول تذكيرها العهودَ وعتابها .

٢ ـ الحماسة

اشتهر عنترة بالحماسة (وصف المعارك ووصف اعماله فيها) خاصة . ومرجع اوصافه في ذلك امران : اولهما وصف حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً او فلاناً . وثانيهما وصف هجومه في قومه بني عبس على الاعداء . وتجد على هذين كليهما نماذج في المعلقة . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميع ابواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش ، ولا شك في ان الرواة اضافوا الى عنترة اقوالا كثيرة. واشهر اقوال عنترة وادلها على «العقلية العنترية» قوله:

أقمنا بالذوابل سوق حرب وصيّرنا النفوس لها متاعا (٤).

حصاني كان دلاّلَ المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا .

١) مقتول وملقى ارضا . ٢) السهى : نجم صغير قليل الضوء (لبعده هنا) . الفرقد : نجم مضيء يهتدى به - يقصد : جميع الوجوه كانت جميلة ، ولكن جمال عبلة كسف جمال اللواتي معها . ٣) جعلن الرجالَ يبكون من اثر عيونهن المكحولة بالسحر لا بالكحل . ٤) الذوابل : الرماح . المتاع : العروض التي تقع عليها التجارة .

وسيفي كان في الهيجا طبيباً　　يداوي رأسَ من يشكو الصُداعا .

انا العبد الذي خُبِّرتَ عنهُ　　وقد عاينتني فدعِ السَماعا .

ملأتُ الارض خوفاً من حُسامي　　وخصمي لم يجد فيها اتّساعا .

إذا الابطال فرّت خوف بأسي　　ترى الاقطار باعاً او ذراعا .

* لئن يَعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ　　يوم النزال إذا ما فاتني النسب .

ولا يغفل عنترة في اثناء حماسته عن ان يحاول محو آثار رقه وسواد لونه بالافتخار باعماله واخلاقه وبنسبه من جهة ابيه الى بني عبس :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظَلُّه　　حتى أنالَ به كريم المأكل .

إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصِباً　　شطري، وأحمي سائري بالمُنصُلِ (١).

وإذا الكتيبة احجمت وتلاحظت (٢)　　أُلفِيت خيراً من مُعمٍ مُخوَلِ .

واذا حملت على الكريهة لم أقلْ　　بعد الكريهة ليتني لم أفعل .

ومن افتخارة بقومه ونفسه واخلاقه وفي الدفاع عن لونه قصيدته التي يتوعد بها النُعمان . وفي هذه القصيدة ايضاً شيء من الحكم ، على سهولة في التركيب وجمال في التصوير :

لا يحمِل الحِقدَ من تعلو به الرُتَبُ　　ولا ينالُ العلى من طبعُه الغضب .

لله درُّ بني عبسٍ لقد وَلَدوا　　من الاكارم ما قد تنسُل العرب (٢).

قد كنت فيما مضى أرعى جمالهمُ　　واليوم أحمي حماهم كلما نُكبوا .

---

١) المنصل : السيف . ٢) لحظ بعد افرادها بعضا ، خوفا من الهجوم .

٢) ولدوني كريماً شجاعاً « مع ان امي جارية سوداء » كاحسن ما يلد العرب مع صفاء انسابهم .

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ يوم النِزال اذا ما فاتني النسب (١).
إن كنت تعلم، يا نُعمانُ، أن يدي قصيرة عنه فالايام تنقلب .
إنَّ الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلُّب في أنيابها العطب .
والخيل تشهد لي أني أكفكفها والطعن مثل شرار النار يلتهب .
إذا التقيتُ الاعادي يوم معركةٍ تركت جمعهم المغرور يُنتهَب :
لي النفوس، وللطير اللحوم، وللوحـ ش العظام، وللخيَّالة السلبُ .

ملاحم عنترة

قصائد عنترة في الحماسة ملاحمُ قصار لا تبلغ من اتصال الابيات وتوالي الحوادث وروعة القصة ومتانة التركيب ما وصلت اليه معلقة عمرو بن كلثوم او معلقة الحارث ابن حلزة، ولكنها لا تقل عن تينك المعلقتين حماسة واتقاد عاطفة، فمن ذلك قوله :

انا في الحرب العَوان (٢) غيرُ مجهول المكان .
اين ما نادى المنادي في دُجى النَّقْع (٣) يراني .
وحسامي مع قناتي (٤) لفعالي شاهدان .
إنني أطعن خصمي وهو يقظان الجَنان .
انني ليثٌ عبوسٌ ليس لي في الخلق ثان .
خُلقَ الرمح لكفي والحُسامُ الهندواني .

---

١) اذا فاتني النسب العربي الخالص . ٢) العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة واحدة . والمكان الذي يُقاتل فيه المرة الاولى يكون المحاربون فيه قليلي الاختبار ، ومع ذلك فعنترة معروف بمقدرته حتى في المعارك التي يخوضها للمرة الاولى . ٣) النقع : غبار الحرب . دجى النقع : اذا كثف الغبار صار اسود » دلالة على شدة المعركة . ٤) رمحي .

فاذا ما الارض صارت وردةً مثلَ الدهان (١) .
ورأيتَ الدم يجري لونُه أحمرُ قـان (٢) .
فاسقياني واسمعـاني نغمة كي تُطرباني .
أطربُ الاصوات عندي رنّـةُ السيف اليماني .
وصليلُ الرمح جهراً في الوغى يوم الطّعان .

قصة عنترة

سيرة عنترة العبسي او قصة عنتر قديمة الرواية تتناول حياة عنترة من مولده الى وفاته . وهي تقوم على عنصرين اساسيين : حب عنترة لعبلة ، وحروب عنترة في سبيل رضى مالك والد عبلة أملا بان يسمح مالك بزواج عنترة من عبلة .

ولد عنترة عبداً ورعى الغنم مع ابنة عمه عبلة فاحبها ونظم فيها الشعر . وهكذا يكون قد حال بين عنترة وعبلة حائلان : كان عنترة عبداً والعرب لم تكن تزوج بناتها الحرائر للعبيد . ثم ان عنترة قد شبب بعبلة، وكان العرب لا يزوجون الرجل بامرأة قد شبب بها .

وقصة عنترة طويلة فيها ترديد كثير : معارك متشابهة الحوادث متباينـــة في التعبير عنها . وفي قصة عنترة مغامرات تخرج عن طوق البشر كما يُنتظر في امثال هذه القِصص : عنترة يحمل رمحاً طوله سبعون ذراعاً او يهجم على جيش فيهزمه او يضع يديه في فم الاسد ويشقه .

ولا ريب في ان شخصية عنترة في القصة غيرُ شخصية عنترة في شعره الثابت . فالقصة تجمع حوادث لا تنطبق على التاريخ . ومن ابرز الفروق ان عنترة يتزوج عبلة في القصة ، بينما هو يبقى عَزَباً في شعره وتتزوج عبلة رجلا آخر .

---

١) صارت وردة : صارت حمراء اللون . الدهان : الجلد الاحمر « صارت الارض كلهـا كأنما غطيت بجلد احمر » ٢) قنأ : اشتدت حمرته . قانيء : شديد الحمرة .

فقصة عنترة اذن ملحمة من الملاحم القديمة يمتزج فيها التاريخ بالخرافة وتتحد فيها الحقائق بالخيال وتكثر فيها افعال البطولة ومظاهر الشهامة ومواقف الحب، ثم يبرز فيها عنصر المباغتة، اذ بينما يكون بنو عبس في اشد المعارك هولاً والعدو محيط بهم وهم على شفا الهلاك تبدو على الافق البعيد بقعة سوداء تعظم شيئاً فشيئاً، حتى تنكشف عن جيش جرار يقوده عنترة لانقاذ قومه بني عبس .

اما القصة فليست وحدة تأليفية . ان فكرتها قديمة جداً ولكنها تعرضت لزيادات كثيرة في اثناء الاعصر المتعاقبة ، ولا ريب في انها قد نمت في بغداد وفي مصر ، والعنصر المصري فيها ابرز .

نموذج من قصة عنترة

عَنْتَرَةُ والأَسدُ

قال الراوي : وفي يوم من الايام توغل عنتر في البر بالجمال ، والغنم (١) ، وقصدبها الروابي والاكم (٢) الى ان حميت عليه الشمس وبعد عن حي عبس . فقصد شجرة من الاشجار يستظل بها من حر النهار . وسرحت الاغنام ترعى ، في ذلك المرعى . واذا هو باسد كبير من بطن الوادي ظهر يمشي ويتبختر ، أفطس المنخر ، يطير من عينيه الشرر ، يقلب الوادي اذا همر (٣) . بانياب أحدّ من النوائب ، ومخالبَ امرّ من المصائب . شدوق شدقم (٤) عبوس ادغم(٥) . تسمَعُ الرعد اذا همهم ودمدم(٦) ، ويلمع البرق من عينيه اذا اظلمَ الليلُ واعتم ، شديدُ المراس ، عريض الكتف كبير الراس .

فلما ظهر من بطن الوادي وشمت الخيل رائحته فرّت من هيبته . وكذلك النوق والجمال ، شردت في اليمين والشمال . فلما نظر عنتر ، الى ذلك الامر المنكر

---

١) نلاحظ ان الجمل طويلة والفصل بينها قليل . ٢) الاكمة : التلة . ٣) ضرب الارض برجليه. ٤) الشدوق ، كذا في الاصل ، والمراد : الكبير الفم . الشدقم الواسع الشدقين . ٥) الادغم : الاسود المنخر ، والذي اذا تكلم ظهر كلامه كأنه خارج من انفه . ٦) همهم : تكلم بصوت خافت. دمدم : تكلم بصوت مرتفع وهو غضبان .

نزل الى الوادي حتى يبصر(١) والسيف في يده مُشَهَّر (٢) . واذا هو بالاسد رابض باسط يديه ، وهو يلعب بذنبه ويضرب به جنبيه ، والشرر يطير من عينيه . فعندئذ زعق عليه عنتر زعقة دوّت بها الجبال ، وقال : مرحباً بك يا ابا الاشبال ، يا كلب الفلا ، يا نحسَ وحوش البيدا ، فلقد ابديت بأسك وصولتِك ، وافتحرت بهمتك وهمهمتِك . ولا شك في انك ملك السباع ، وسلطانهم المطاع ، ولكن عد بالخيبة والاذلال ، فما انا كمن لاقيته من الرجال . انا مُهلك الابطال ، ومُيتم الاطفال . فانا لا ارضى ان اقتلك بسنِان ولا بُحسام(٣) ، ولابد ان أسقيَك كأس الحمام . ثم انه ألقى السيف من يده وحمل على السبع وهو يُنشد :

يا ايها السَّبُعُ الهَجومُ على الردى ... ها قد بقِيتَ مُعَفَّراً منهوبا (٤) .
أتريدُ أموالي تكونُ مُباحةً ؟ ... ها قد تركتُك بالدما مخضوبا !
شَرَّدتَ أغنامي ، ولم تكُ عالماً ... أني هِزَبْرٌ لا أزال مَهوبا (٥) .
هذي فعالي فيك يا كلبَ الفلا ... هلَّا شَهِدتَ مواقعاً وحروبا ؟
لو كنتَ تعلم ان هذا تلتقي ... مني وتصبحُ للحِمام شروبا (٦)
لم تأتِ نحوي تبتغي صَيْداً فقد ... وافاكَ حتْفك عاجلاً مصبوبا .

ثم هجم على الاسد ، ووقع عليه كوقوع البرد ، ونفخ عليه مثل الثعبان الاسود . ووثب عليه حتى ساواه في وثبته ، وصرخ عليه صرخة اعظم من صرخته ، وقبض عليه بكفيه ، واتكأ عليه فشق حنكيه الى حد كتفيه ، وصاح صيحة ازعج بها الوادي وجانبيه ، وصبر على الاسد حتى قضى عليه !

---

١) بصر مضارعها يبصر بضم الصاد وفتحها . ٢) مشهر بفتح الهاء فقط او بتشديدها مع الفتح : رفع السيف على الاعداء . ٣) السنان : النصل في اعلى الرمح . الحسام : السيف القاطع . ٤) معفر : ملوث بالتراب . ٥) الهزبر : الاسد . مهوب ومهيب وهيوب : الذي يخافه الناس . ٦) الحمام شروب : تشرب الحمام « الموت » ، تموت .

معلقة عنترة

نظم عنترة معلقته في اثناء حرب داحس والغبراء بعد ان قتل ضمضماً المري ، ولكن قبل ان يَقتل وردُ بن حابس هرمَ بن ضمضم على ما علمنا في الكلام على معلقة زهير . وبما ان زهيراً يذكر مقتل هرم بن ضمضم فمعلقة زهير متأخرة عن معلقة عنترة ، ولكن زهيراً نفسه توفي قبل عنترة .

وفي معلقة عنترة بيت يدل على بدء نفور العرب من العجم. يقول عنترة عن ناقته :

شربت بماء الدُحرُضين فاصبحت　　زوراء تنفر عن حياض الديلم .

ولكنه لا يذكر معركة ذي قار فيها . من اجل ذلك كله نستطيع ان نقول ان عنترة نظم معلقته قبل ان ينتهي القرن السادس للميلاد او بعده بقليل (٥٩٥-٦٠٥م) .

اما الرواية التي تزعم ان المعلقة هي اول شيء قاله عنترة من الشعر فلا يمكن ان نثق بها ، ذلك لان لعنترة شعراً يجب ان يكون قد قاله في شبابه يتعلق بحبه لعبلة وبطولته في الحروب . فاذا قبلنا انه لم يقل شعراً قبل ٥٩٥ م ، وجب ان ننكر كل شعر لعنترة سوى المعلقة .

ويقول عنترة معلقته ليعاتب عبلة ويفتخر امامها بشجاعته وكرمه ، وليعاتب اباه وعمه اللذين ضنا عليه بعبلة زوجاً له ، قال :

هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّم ؟　　ام هلْ عَرَفْتَ الدار بعد تَوَهُّم (١) ؟

يا دارَ عبلةَ بالجواء تكلمي .　　وعِمي صباحاً دار عبلةَ واسلمي .

---

١) متردم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة — . يقولون قصد عنترة ان الاقدمين اتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله . — وعندي ان متردم « بكسر الدال » . المتهدم — والمعنى: هل ترك الشعراء طللا لم يقفوا بعد عليه ، والدليل على ذلك قوله : ام هل عرفت الدار بعد توهم ، فهو لم يعرف طلل عبلة بالتأكيد بل توهمه توهماً . واما قوله تيا بعد : ما راعني... الخ فليست اكثر من ذكرى قديمة خطرت للشاعر .

فوقفتُ فيها ناقتي ، وكأنها فدنٌ ، لأقضيَ حاجةَ المتلوِّم (١) .

وتَحِلُّ عبلةُ بالجواءِ . وأهلُنا بالحَزْنِ فالصَّمَّانِ فالمتثلَّمِ .

حُيِّيتَ من طللٍ تقادم عهده أقوى وأقفر بعد امّ الهيثم (٢) .

حَلَّت بارض الزائرين ، فأصبحت عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ، ابنةَ مَخرمِ (٣) .

عُلِّقْتُها عرَضاً ، واقتل قومها زعماً لعَمْرُ ابيك ليس بمَزعمِ (٤) .

ولقد نزلتِ ، فلا تظني غيره ، مني بمنزلة المحَبِّ المُكرَمِ

كيف المزارُ وقد تربَّع أهلُها بعنيزتين ، واهلنا بالغيلمِ ؟ (٥) .

ان كنتِ أزمعتِ الفراق فانما زُمَّت رِكابكمُ بليلٍ مظلمِ (٦) .

ما راعني إلا حَمولةُ أهلها وسط الديار تَسَفُّ حبَّ الخِمخِمِ (٧) .

فيها اثنتانِ واربعونَ حلوبةً سوداً كخافيةِ الغرابِ الاسحمِ (٨) .

اذ تستبيك بذي غُروبٍ واضحٍ عذبٍ مقبَّلُه لذيذِ المطعمِ (٩) .

وكأنما نظرت بعيني شادنٍ رشأٍ من الغِزلان ليس بتوأمِ (١٠)

---

١) فدن : القصر . المتلوم : الذي يمكث في المكان قليلا . — ربطت ناقتي هنالك لامر احب ان اقضيه . ٢) اقوى واقفر : خلا من السكان . ام الهيثم : عبلة « ? » . ٣) الزائر : الذي يزأر وهو هنا الإسد او العدو « حلت بارض الاعداء » . ابنة مخرم . قالوا ينادي فتاة هي ابنة رجل اسمه مخرمة . — وعندي ان المخرم الطريق في الجبل ، وابنة مخرم ، اي تسكن ارض يقتضي الوصول اليها قطع طرق في الجبال ، وفي ذلك صعوبة كبيرة . ٤) في تفسير هذا البيت اقوال ، لعل اصوبها ، يقولون اني احببت عبلة اتفاقاً ، فحبها من اجل ذلك ليس قويا ولهذا انا اقتل اهلها وقومها . وليس ذلك صوابا . ٥) تربع : نزل في الربيع — والمقصود ان سكناها بعيد من سكنام . ٦) ازمع : قصد . زمت ركابكم : اسرجتم جمالكم وحملتم عليها متاعكم . بليل مظلم : سراً . ٧) الحمولة : الجمال . الخمخم : ثمر اسود — ما عرفت الا واهلها يستعدون الرحيل . ٨) الحلوبة : الناقة التي تعطي حليباً . الخافية : الريشة الصغيرة في باطن جناح الطير . الاسحم : الشديد السواد . ٩) استبى وسبا : اسر بجماله . ذو غروب : ذو خطوط في الاسنان «الفم» . واضح : ابيض . ١٠) الشادن والرشأ : الصغير من الغزلان . ليس بتوأم : ليس له مثيل (في جماله) .

وكأنّ فارةَ تاجرٍ بقسيمة ... سبقت عوارضَها اليك من الفم (١) .

او روضةً أُنفاً تضمّنَ نبتَها ... غيثٌ قليلُ الدِّمن ليس بمَعلَم (٢).

جادت عليها كلّ بِكرٍ حرة ... فتركنَ كلّ قرارةٍ كالدرهم (٣).

سَحًّا وتسكاباً ، فكل عشيّةٍ ... يجري عليها الماء لم يتصرّم (٤).

وخلا الذُباب بها فليس ببارحٍ ... غَرِداً كفعل الشارب المترنّم (٥).

هَزِجاً يحُكُّ ذِراعه بذراعه ... قَدحَ المُكِبّ على الزِناد الاجذم (٦).

تُمسي وتُصبح فوق ظهر حشيّةٍ ... وأبيتُ فوق سَراةِ ادهمَ مُلجَم (٧).

وحشيّتي سرج على عَبلِ الشوى ... نَهدٍ مراكلُه نبيلِ المحزِم (٨) .

هل تُبلغنّي دارها شَدَنيّةٌ ... لُعِنت بمحروم الشراب مُصرَّم (٩)؟

خطّارةٌ غِبَّ السُرى زيافةٌ ... تطِسُ الاكام بذات خُفٍّ ميثَم (١٠).

---

١) فارة المسك : وعاؤه . القسيمة : المكان الذي تفتح فيه اوعية المسك . العوارض : صفحات العنق . — تشم الرائحة الطيبة من فمها « اي رائحتها الطبيعية » قبل ان تشم الرائحة التي تضعها في عنقها « تتطيب بها » . ٢) الانف : التي لم يرعها احد بعد . الدمن : البقاء . ليس بمعلم : ليس بمكان معروف « يذهب اليها الناس دائماً » . ٣) البكر : السحابة في اول الربيع . حرة : الخالصة البياض . — تجمع الماء في قرارات الارض فاصبح يرى « عن بعد » كأنه الدراهم . ٤) السح والتسكاب : المطر المستمر . يتصرم : ينقطع . ٥) الذباب : هنا النحل . ٦) هزجاً : طروبا او سريعاً في حركته . يحك ذراعه بذراعه : يصفق الهواء بجناحيه فيحدث صوتا — كما يفعل الرجل اذا انحنى على زناد (عود تقدح به النار) قصير فهو يبالغ في حكه حتى تخرج منه نار كافية . ٧) حشية : فراش . سراة : ظهر . ادهم : حصان اسود . ٨) عبل الشوى : غليظ القوائم « اي حصان .. » . نهد مراكله : عالية جوانبه ، والمركل هو المكان الذي يضربه الفارس بالمهماز من بطن الحصان . نبيل : ضخم . المحزم : حيث يشد الحزام . ٩) شذنية : ناقة .. لعنت بمحروم الشراب : انقطع لبنها فكانت اقوى على السير . مصرم : مقطوع ايضاً . ١٠) خطارة : تضرب جانبيها بذنبها « دلالة على نشاطها » . غب السرى : بعد سير الليل .. زيافة : سريعة . وطس : ضرب . الاكام : الاكم ، التلال . الخف : قدم البعير . الميثم : الشديد الوطء والمشي . (اي بقوائم قوية) .

وكأنما اقص الاكام عشيّةً … بقريب بين المَنسمين مُصلَّم (١).

تأوي له قُلُصُ النَعام كما أوت … حِزَقٌ يمانيةٌ لأَعجَم طِمطِم (٢).

يتْبعن قُلّة رأسه ، وكأنه … حرجٌ على نعش لهن مخيَّم (٣).

صعلٍ يعود بذي العشيرة بيضَه … كالعبدذي الفرو الطويل الاصلم (٤).

شربتْ بماء الدحرُضين فأصبحت … زوراءَ تنفِر عن حياض الديلم (٥).

وكأنما تنأى بجانب دَفّها الـ … وَحشيّ من هَزِج العشِيّ مُؤدّم (٦).

هِرٍّ جنيبٍ كلما عطَفت له … غَضبى اتقاها باليدين وبالفم (٧).

أبقى لها طولُ السِفارِ مُقرمَداً … سنداً ومثلَ دعائم المتخيّم (٨).

بركتْ على ماء الرِداع كأنما … بركت على قَصَب أجشّ مُهضَّم (٩).

وكأن رُبّاً او كُحَيلاً مُعقَداً … حشّ الوقودُ بهجوانبَ قُمقُم (٠١).

١) اقص : (اقيس) . بقريب بين المنسمين: الظليم «ذكر النعام» لان ظفريه قريب احدهما من الاخر . مصلم : ليست له اذنان ظاهرتان وذلك من صفات الطيور . ٢) تأوي له : تجتمع اليه. قلص النعام : اولادها . حزق : جماعات (من الابل) . الاعجم الطمطم : الذي لا يفهم العرب كلامه . يقول : ينفق هذا الظليم فتجتمع اليه فراخ النعام ، كما تجتمع الابل حول راعيها حينما يدعوه بصوت غير مفهوم، ولكن ابله قد الفت ذلك منه . ٣) يتبعن قلة رأسه : تسير مهتدية باعلى راسه . كأنه : كأن الظليم نفسه . الحرج : مركب النساء كالهودج ونحوه . مخيم : مجعول خيمة . ٤) الصعل : الصغير الراس الدقيق العنق . ذي العشيرة : موضع . يعود بيضه: يأتي ليتفقد بيضه مرة بعد مرة . الاصلم مقطوع الاذن (صفة للعبد ؟) – يشبّه الظليم بعبد يلبس فروا سابغاً ، دلالة على ان النعام التي يصفها سود لا بيض . ٣) تعودت هذه الناقة ان تشرب من ينابيع بلاد العرب . «الدحرضين: موضعان في بلاد العرب » فاصبحت تنفر من العجم . ٦) الدف الوحشي: الجانب الايمن من البهائم . من هزج العشي : خوفاً من الذي يحدث صوتاً في الليل ، قيل الهر . مؤدم : عظيم الراس – هذه الناقة تنفر في سيرها الى يمينها كأنما هنالك هر يهاجمها عن يسارها . ٧) جنيب : مجنوب : مربوط الى جانبها . ٨) السفار : السفر . مقرمداً : سناماً متيناً كالقرميد ، وعالية كالاعمدة التي ترفع عليها الخيمة . ٩) لما بركت «اناخت» . احدثت صوتا كأنما كانت تبرك على قصب يابس . ١٠) وكأن الصوت الذي احدثته في بروكها يشبه صوت القطران (الكحيل والرب؟) اذا وقد به بكثرة تحت القمقم (القدر الصغيرة) .

ان تُغدفي دوني القِناعَ فإنني طَبٌّ بأخذ الفارس المستلئم (١) .

أثني عليَّ بما علمتِ فانني سهلٌ مخالقتي إذا لم أُظلم (٢) .

فاذا ظُلمت فان ظلمي باسلٌ مُرٌّ مذاقتُهُ كطعم العلقم (٣) .

ولقد شربتُ من المُدامة بعدما ركدَ الهواجرُ بالمَشوف المُعلَم (٤) ،

بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسرَّةٍ قُرنت بأزهرَ في الشِمال مُفدَّم (٥) .

فاذا شربت فانني مُستهلكٌ مالي ، وعِرضي وافر لم يُكلَم (٦) .

وإذا صحوت فما أُقصِّر عن ندىً ، وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي (٧) .

وحَليلِ غانيةٍ تركت مُجدَّلاً تمكو فريصته كشِدق الأعلم (٨) :

سبقتْ يداي له بعاجل طعنةٍ ورَشاشِ نافذةٍ كلون العَنْدم (٩) .

هلَّا سألتِ الخيلَ ، يا ابنة مالكٍ ، إن كنتِ جاهلة بما لم تعلَمي ؟

إذ لا أزال على رِحالة سابحٍ نهدٍ ، تَعاوَرُه الكُماة مُكلَّم (١٠) .

طوراً يُجرَّد للطِّعان ، وتارةً يأوي الى حَصِد القِسيِّ عرمرم (١١) ،

---

١) اغدف القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلئم : اللابس اللأمة « الدرع » انا اتغلب على البطل الذي يلبس درعاً ، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟ ٢) سهل مخالقتي : معاشرتي سهلة . ٣) باسل : كريه . العلقم : نبات مر . ٤) المدامة : الخمر . ركد الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : « الدينار » المجلو الذي فيه كتابة ونقش . ٥) اسرّة : خطوط . ازهر : « ابريق » من فضة ابيض براق . مفدم : عليه الفدام « المصفاة » . ٦) وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح . ٧) الندى : الكرم . الشمائل : الاخلاق الجميلة . ٨) حليل : زوج . الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها عن الحلي . مجدلا : ملقى على الارض . تمكو فريصته : ترجف عضلته التي بين كتفه وخاصرته . الشدق : الفم . الاعلم : المشقوق الشفة العليا . ٩) نافذة : طعنة تخرق الجسم . الرشاش : ما تطاير من الدم . العندم : صباغ احمر . ١٠) رحالة : سرج . سابح : حصان سريع . نهد : عال . تعاوره ، تتعاوده : تحيط به وتطعنه مرة بعد مرة . الكماة : الابطال المدججين بالسلاح . مكلم : مجرح . ١١) يجرد : يهيأ . الحصد والعرمرم : الكثير — مرة اهجم به على الاعداء ومرة ارجع به الى صفوف قومي المسلحين بالقوس والسهام وهم يرمون بها العدو .

يُخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنم (١).

ومدجّج كره الكُماةُ نِزاله ... لا مُمعنٍ هربًا ولا مُستَسلم (٢)،

جادت يداي له بعاجل طعنةٍ ... بمثقّف صَدْقِ الكُعوب مُقوّم (٣)،

برحيبة الفَرغين، يَهدي جَرْسُها ... بالليل مُعتَسّ الذِئاب الضُرّم (٤).

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابَه ... ليسَ الكريم على القنا بُمحَرّم (٥).

فتركته جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضُمْنَ حُسْن بنانه والمِعْصَم (٦).

ومِشَكِّ سابغةٍ هتكت فُروجَها ... بالسيف عن حامي الحقيقة مُعلَم (٧)،

رَبِذٍ يداه بالقِداح اذا شتا ... هتّاكِ غايات التِجار مُلَوّم (٨).

لما رآني قد نزلتُ أريده ... أبدى نواجذَه لغير تبَسم (٩)،

فطعنتهُ بالرمح ثم علَوْته ... بُمهنّدٍ صافي الحديدة مِخذَم (١٠).

---

١) الوقيعة المعركة. — اشترك في القتال من غير ان آخذ شيئاً من الغنائم. ٢) المدجج «بفتح الجيم الاول وكسرها» الكثير السلاح — لا يهرب من المعركة ولا يستسلم لخصمه. ٣) المثقف: الرمح المقوم. صدق الكعوب: صلب، قوي العقد «لان الرمح قد يكون من قصب فارسي». ٤) رحيبة: واسعة. الفرغ: جانب الدلو، حيث يصب الماء. الجرس: الصوت. المعتس: الذي يطلب شيئا في الليل. الضرم جمع ضارم: جائع — ان صوت خروج الدم من هذا الجرح الواسع تسمعه الذئاب في الليل فتسرع الى صاحبه. ٥) الاصم، الصلب، غير الاجوف. ثيابه: كناية عن جسمه كله. القنا: الرماح. ٦) جزر السباع: مذبوح لتأكله الوحوش. ناشه: تناوله من اطرافه. قضم: قطع باسنانه. البنان: رؤوس الاصابع. ٧) مشك سابغة: لابس درعاً ضافية واسعة. هتكت فروجها: شققت فيها شقوقاً واسعة. حامي الحقيقة: الذي يحمي عرض قومه واموالهم. معلم: كاشف عن وجهه. كان الابطال الشجعان لا يتقنعون في الحرب حتى يعرفهم خصومهم. ٨) ربذ يداه بالقداح: بارع في لعب القمار. اذا شتى: في الشتاء «فذاك ادل على غنى صاحبه، لان الشتاء في البادية فصل قحط». هتاك غايات التجار: ممزق رايات تجار الخمر (كان تجار الخمر يرفعون راية ما دام عندهم خمر، وقد يتفق ان يأتي رجل غني كريم فيأمر بانزال الراية واسقاء الناس على حسابه حتى تنفد تلك الخمر). ملوم، يلام على انفاقه ماله في مثل هذا السبيل. ٩) ابدى نواجذه «اضراسه» ضحك. ١٠) مهند، سيف. مخذم، قاطع.

عهدي به مَدَّ النهارِ كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسه بالعِظْلَم (١).

بطلٌ كأنَّ ثيابه في سَرحة يُحذى نِعالَ السِبْتِ، ليس بتوأم (٢).

ولقد ذكرتك والرماح نواهِلٌ مني، وبيضُ الهند تقطر من دمي (٣).

فوددتُ تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم.

يا شاةَ ما قَنْصٍ لمن حلَّت له، حَرُمت عليَّ وليتها لم تَحرُم (٤).

فبعثت جاريتي وقلت لها: «أذهبي فتجسسي اخبارَها ليَ واعلمي».

قالت: «رأيت من الاعادي غِرَّة، والشاةُ مُمكنة لمن هو مُرتمِ (٥).

وكأنما التفتت بجيد جِداية رشأٍ من الغزلان حُرٍّ ارثم» (٦).

نبئتُ عَمراً غيرَ شاكرِ نعمتي، والكفر مَخْبَثة لنفس المُنعِمِ (٧)!

ولقد حفظتُ وَصاة عمي بالضحى إذ تقلِص الشفتان عن وَضَح الفم (٨).

في حومة الموت التي لا يشتكي غمراتِها الابطالُ غيرَ تغمغُم (٩).

---

١) مد النهار: طول النهار. العظلم: شجر احمر. — لا ازال اذكر انه بقي طول النهار ملقى على الارض مضرجاً بدمه. ٢) كأن ثيابه في سرحة «شجرة طويلة»: كناية عن طول قامة هذا البطل. يحذى نعال السبت: يلبس حذاء من جلد رقيق مدبوغ «كناية عن غناه». ليس بتوأم: لا مثيل له «في شجاعته». ٣) نواهل: شاربات «من دمي». بيض الهند: السيوف. ٤) ما زائدة. شاة قنص: طريدة «صيد». — يخاطب عبلة فيقول: انت نصيب لكل رجل يدفع مهرك، ولكنك حرمت علي انا وحدي. ٥) الاعادي: اهل عبلة «هنا». غرة: غفله. الشاة: المرأة، ايضاً «عبلة». ممكنة لمن هو مرتم: اي ان الذي يهجم عليها يستطيع خطفها. ٦) جيد: عنق. الجداية: الرشأ «الغزال الصغير». الحر: الصافي البياض. ارثم: له سواد في شفته العليا. ٧) اخبرت ان عمراً «اباه ؟» لا يعترف بافعالي في الحرب. والكفر مخبثة لنفس المنعم: ان الجحود يمنع المحسن من معاودة احسانه. ٨) الوصاة: الوصية. عمي: «لعله مالك ابو عبلة». الضحى: الصباح. تقلص الشفتان عن وضح الفم: لتقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان. ٩) حومة الموت: المعركة. غمراتها: شدائدها. تغمغم: صوت غير مفهوم. — عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد «لافوز بعبلة».

اذ يتَّقون بِيَ الاسنَّةَ ، لم اخِمْ   عنها ، ولكني تضايق مُقدِمي (١) .

لما سمِعت نداء مُرَّة قد علا ،   وابنَي ربيعةَ في الغُبارِ الاقتم (٢) ،

ومُحلِّمٍ يَسعَون تحت لوائهم ،   والموت تحت لواء آل محلَّم (٣) ؛

ايقنتُ ان سيكونُ عند لقائهم   ضربٌ يُطيرُ عن الفِراخ الجُثَّم (٤) .

لما رأَيت القوم اقبل جمعهم   يَتَذامرون ، كررت غيرَ مُذَمَّم (٥) .

يَدعون : عنترَ ! والرِماح كأنها   أَشطان بئر في لَبانِ الادهم (٦) .

ما زلت ارميهم بثُغرة نَحره   ولَبانه ، حتى تسربَل بالدم (٧) .

فأزورَّ من وقع القنا بلَبانه   وشكا إليَّ بعَبرة وتحمحم (٨) .

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ،   ولَكان لو علِم الكلام مكلِّمي .

والخيلُ تقتحم الخَبارَ عوابساً   ما بين شَيظمةٍ وأَجردَ شيظم (٩) .

ولقد شفى نفسي وأَبرأَ سُقمَها   قِيلُ الفوارس : «وَيكَ عنترَ ، أَقدم» (١٠) ،

ذُلُلٌ ركابي حيث شئت ، مُشايعي   قلبي ، وأحفِزُه بأمرٍ مُبرم (١١) .

---

١) يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتي لا تصيبهم الرماح . خام ، يخيم : جبن ، تراجع . تضايق مقدمي : ان كثرة الفرسان امامي منعت حصاني من ان يتقدم . ٢) الاقتم : الاسود . ٣) مرة وربيعة ومحلم : قبائل . ٤) اللقاء : الحرب . ضرب يطير «لشدته» امات الطير عن فراخها التي تجثم عليها وتحضنها . ٥) يتذامرون : يحض بعضهم بعض . كررت : هجمت . غير مذمم : غير مذموم . ٦) ينادون يا عنترة ! بينما كانت الرماح تتوالى على صدر حصاني الاسود كما تتوالى الاشطان «الحبال» نازلة وصاعدة في البئر «لاستقاء الماء» ٧) ثغرة نحره : مقدمة صدر الحصان . تسربل : اكتسى . ٨) ازور : مال . عبرة : دمعة ، بكاء . تحمحم : صوت منقطع . ٩) الخبار : الارض اللينة ذات الحفر . الشيظم : الحصان الطويل . الاجرد : القصير الشعر .

١٠) قيل : قول . ويك : انتبه ! ١١) مطاياي تطيعني للذهاب وقلبي شجاع يصحبني في كل رحلة او حرب ، و كذلك ادعم شجاعة قلبي بامر مبرم . «بحزم ولا اتردد» .

ولقد خشيت بأن اموتَ ولم تدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَي ضمضَم (١) ٭

الشاتميْ عِرضي ولم اشتُمْهما والناذرَين اذا لم القهما دمي (٢) ٭

إنْ يفعلا فلقد تركتُ اباهما جَزَرَ السباع وكل نسر قشَعم (٣) ٭

---

١) خفت ان اموت قبل ان اقتل هرماً والحصين ابني ضمضم . ٢) اللذين ... يتوعداني بالقتل ما داما بعيدين عني ، فاذا رأياني خافا مني . ويروى : والناذرين اذا لقيتها دمي – يقصد انهما يقولان اذا رأيناه فسنقتله . ٣) ولوقتلاني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل .

● وقد قتل احد بني عبس هرماً في حرب داحس والغبراء كما علمت عند الكلام على معلقة زهير بن ابي سلمى (راجع ص ١٢٨) .

الفهرست

الشعراء الخمسة

نخبة من دراسات وكتب

عمر فروخ
دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

دراسات قصيرة	الثمن بالقرش اللبناني
١ ــ الحجاج بن يوسف (الطبعة الثانية)	٤٠
٢ ــ عمر ابن ابي ربيعة (الطبعة الثانية)	٧٥
٣ ــ عبد الله بن المقفع (الطبعة الثانية)	٤٠
٤ ــ الرسائل والمقامات (الطبعة الثانية)	١٠٠
٥ ــ ابن الرومي (الطبعة الثانية)	٥٠
٦ ــ احمد شوقي (الطبعة الثانية)	٦٠
٧ ــ ابن خلدون (الطبعة الثانية)	٥٠
٨ ــ اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية (الطبعة الثانية)	
٩ ــ شعراء البلاط الاموي (الطبعة الثانية)	١٢٥
١٠ ــ الفارابيان : الفارابي وابن سينا (الطبعة الثانية)	١٠٠
١١ ــ اربعة ادباء معاصرين (الطبعة الثانية)	
١٢ ــ خمسة شعراء جاهليون (الطبعة الثانية)	١٥٠
١٣ ــ بشار بن برد (الطبعة الثانية)	١٢٥
١٤ ــ نهج البلاغة	٥٠
١٥ ــ اخوان الصفا	٢٥٠
١٦ ــ ابن باجه	١٠٠

١٧ – ابن طفيل	١٢٥
١٨ – التصوف في الاسلام	٢٠٠
١٩ – الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب	١٥٠
٢٠ – موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية	١٠٠

دراسات أخر

ابو نواس : دراسة ونقد (الطبعة الثالثة)	١٥٠
ابو نواس : مختارات	٥٠
ابو تمام	١٠٠
حكيم المعرة (الطبعة الثانية)	٢٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
الاسلام على مفترق الطرق (الطبعة الثالثة)	
نحو التعاون العربي	١٠٠
دفاعاً عن العلم	(نفد)
دفاعاً عن الوطن	٥٠
الاسرة في الشرع الاسلامي	٤٠٠
Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1 -23 d. H. (622 - 644 n. Ch. Leipzig 1937.	600 —
الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس الابتدائية)	٢٥

●

يمكن الحصول على هذه الدراسات من :

السيد محمد الخوجة

١٥ نهج باب المنارة – تونس